10



نشرة تهتم بموضوعات الأرشيف تصدر عن
مركز أوال للدراسات والتوثيق

العدد 10 -حزيران/ يونيو 2018





نشرة فصلية مختصة بموضوعات الأرشيف تصدر عن
مـركـــز أوال للـــدراســـــات والتوثيـــق

العدد 10 -حزيران/ يونيو 2018

نشرة فصلية تصدر عن مركز أوال للدراسات والتوثيق، تحت عنوان (أرشيفو). تعنى بقضايا الأرشيف، تنطلق من البحرين إلى الخليج إلى العالم العربي وخارجه.

تغطي النشرة المجالات التالية: المشكلات التي تواجه الأرشيف، طرق حفظ الأرشيف، التعريف بأصحاب الأرشيف الأهلي ومراكز الأرشيف الرسمي، التعريف بالمدونات والمواقع الإلكترونية المهتمة بالوثائق والأرشيف، ترجمة المقالات المنشورة بلغات أجنبية، مراجعة الكتب المتعلقة بالأرشيف ومتابعة الأنشطة والفعاليات ذات العلاقة بالذاكرة والأرشيف.

عنوان النشرة يشير إلى أن كلمة (أرشيف Archives) متقاربة النطق والكتابة والجذر في أغلب لغات العالم، وفي اللغة البرتغالية تنطق هكذا (أرشيفو Arquivo).

رابط مدونة أرشيفو:
awalcentre.com/Archivo



info@awalcentre.com | www.awalcentre.com



awalcentre

الفهرس

الافتتاحية

الأرشيف الذي لا شفاء منه

رئيس التحرير

"حتى لو كانت لدينا مشاعر سيئة تجاه ماضينا، وكانت تسبب لنا شعورًا بالاغتراب، غير أن هذا الماضي ينتمي إلى تاريخنا. مقاييسه مُخَزّنة في ذاكرتنا، ولا يمكن إجراء تقييمات أساسية للمستقبل من دون مراجعة أرشيف ذاكرتنا".

الرسام البلجيكي إريك بفرناجي «Erik Pevernagie»

الإنسان مجموع تجاربه، هو الكائن الوحيد الذي لديه أرشيف، وأرشيفه يتكون من مجموع تجاربه الشخصية التي عاشها بنفسه أو عاشها نوعه الإنساني؛ تجاربه المرة والحلوة والناجحة والفاشلة، فالأرشيف ليس أمجاد الماضي، وليس سيرة تعظيم للذات الشخصية أو الجماعية، بل هو سجل نشاطنا وكسلنا وعلمنا وجهلنا وإخفاقنا وإنجازنا وحكمتنا وحماقتنا.

أولئك الذين يحرقون الأرشيف لا يتخلصون منه ولا يخلصون الأجيال القادمة منه، هل يتخلص المريض من علته حين يحرق سجله الطبي؟ هل يُشفى المريض حين يعدم وثائق حالته الصحية أو وثائق تاريخ عائلته الصحي؟

إن ما يفعله هذا المريض، أو ما تفعله السلطة حين تتخلص من جزء من ماضيها، يزعجها أو يحرجها، إنما هو ترك فجوة تاريخية تعوق فهم الذات وحالتها، فتعطل بناء مستقبلها والتصالح مع حاضرها.



الباص إن حكى: مبادرة لتعزيز السلم الأهلي في لبنان،تضم أرشيفًا رقميًا عن الحرب الأهلية اللبنانية في الذكرى الـ 37 لها

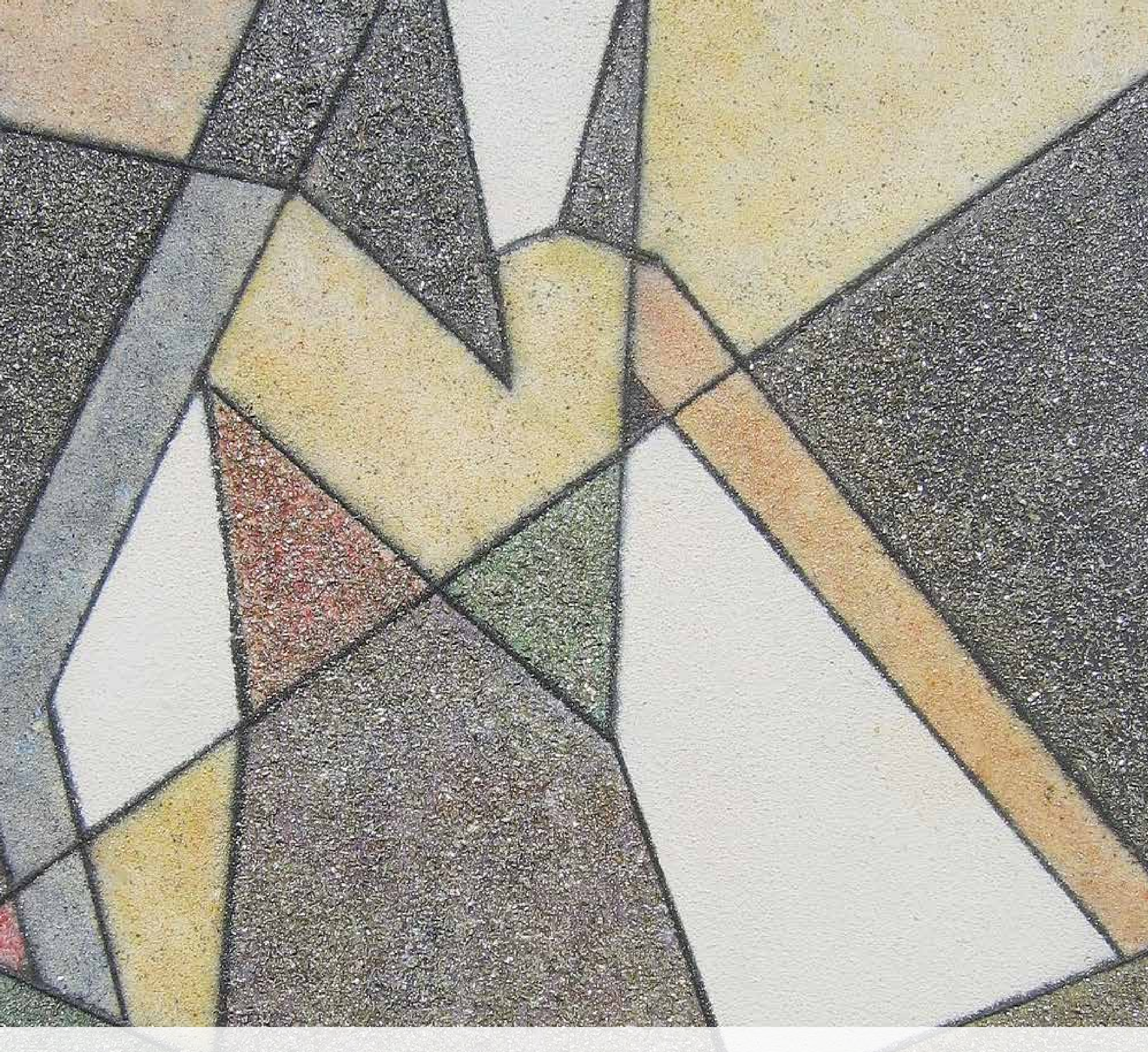
ماذا سيحدث لو أحرقت ألمانيا أرشيف تاريخها النازي ولم تواجهه! لو أنكرت أميركا إبادتها للهنود الحمر وتاريخ استعبادها للسود وتمييزهم! لو تنكرت جنوب أفريقيا لتاريخها العنصري! لو أحرق لبنان وثائق الحرب الأهلية!

تستحق وثائق التعذيب والسجن والسرقة والفساد والتمييز والفصل والخيانة والقتل، أن تؤرشف، وتوضع في ملفات تاريخ حالتنا المرضية، فالدول والأمم تمرض، وتحتاج إلى أن تحتفظ بسجل لحالتها المرضية، كما يحتاج الأفراد إلى ذلك.

تسبب الفجوات التاريخية لذواتنا الجماعية اغتراباً وتجعل حالتنا أكثرا تعقيداً، الأمر الذي يجعل ذاكرتنا مريضة ومُخرّقة وتفتقد إلى الشجاعة والثقة، لأنها ستظل تشعر أنها مهددة بعار التاريخ والأرشيف.

تجريد الإنسان من ذاكرته الجماعية أو تغييب أجزاء منها، لا ينجيه من آثار الماضي، ولا يحميه من ضغط الحاضر، ولا يقيه من عواقب المستقبل، بل يوقعه في الاغتراب الذي هو إنسان بلا ذاكرة أو روح أو قيمة.

إننا نوثق ونؤرشف لنواجه الإنكار الذي هو سلاح التهرب من المواجهة.



لوحة زيتية للرسام البلجيكي إريك بفرناجي بعنوان "العودة إلى الأمس" "Going back to yesterday"



يكشف الأرشيف الألماني عن ممارسات بعض الإرساليات التبشيرية التي كانت منتشرة في المشرق العربي

أمناء الذاكرة

الباحث التاريخي الدكتور عبد الرؤوف سنو:
الأرشيف الألماني يوثّق حقائق تاريخيّة عن لبنان لم تُكشف سابقًا

زينب الطحان

«علم الأرشيف هو الذاكرة السياسيَّة للشعوب». إنَّها مهمَّة أساسيَّة للأرشيف قد لا تفوقها أهمية علمية أخرى على الإطلاق. هذا ما يراه الدكتور البروفيسور عبد الرؤوف سنو، الذي لم يكن يخطّط يومًا لأن يصبح متخصّصًا في دراسة التاريخ.

هو اسم معروف في الأوساط الأكاديمية والبحثية في العالمين العربي والأوروبي عمومًا. حاز عدة شهادات أكاديمية عالية في لبنان وألمانيا، إذ نال دكتوراه الفلسفة في التاريخ الحديث والمعاصر من جامعة برلين الحرة/ ألمانيا الاتحادية، ودبلوم اختصاص في التعليم العالي والتنمية الدولية من جامعة كاسل في ألمانيا، ودبلوم الدراسات العربية والإسلامية من جامعة بيروت العربية، كما نال إجازة في التاريخ من جامعة بيروت العربية.

قضى البروفيسور سنّو حياته العلمية مدرّسًا متنقلًا بين الجامعات اللبنانية والأوروبية، فكان أستاذًا في التاريخ الحديث والمعاصر في الجامعة اللبنانية، وأستاذًا مشرفًا في قسم الدراسات العليا، ومديرًا لمراكز أبحاث علمية تاريخية في لبنان وألمانيا.

فتحٌ جديد في التاريخ العثمانيّ

يقول سنّو: «لم يخطر في بالي أبدًا أن أتّجه لدراسة التاريخ في الجامعة. لطالما استهوتني إدارة الأعمال، ولكنّ ظروفي الاجتماعية والاقتصادية لم تكن تسمح لي بالحضور اليومي في الجامعة آنذاك، فاخترت هذا الاختصاص، ثم بدأت أحبّه أكثر فأكثر عامًا بعد عام، ورحت أكتب المقالات البحثيَّة التاريخيَّة خلال الدراسة».

لاحظ أساتذته أنّه يبرع باختصاصه، فأكمل دراسته العليا فيه، وكانت رسالة الماجستير تتمحور حول الإصلاحات

العثمانية خلال عصر السلطانين سليم الثالث ومحمود الثاني (1789 - 1839). هي إصلاحات فرضتها الدول الأوروبية لتحسين أوضاع من كانت تسمّيهم رعاياها من المسيحيين، من خلال الإرساليات التبشيرية. نشطت في تلك الحقبة شعارات الحرية، ومطالبة العثمانيين بالانفتاح، ولكنهم لم يتمكّنوا من تطبيق تلك الإصلاحات وفق الرؤية الغربيَّة لتلك الدول، لصعوبات جمة من جهة، ولمماطلة أحيانًا من أجهزة حكم الدولة من جهة ثانية، بحسب سنو. تصاعدت في القرن التاسع عشر روح القوميات، فالمسيحيّ لم يعد يريد الحكم العثماني، وشرع بالمطالبة بالاستقلال عنه، وبدأت حركة الاستقلال في البلقان، ففي «تكريت»، كان الحكم الذاتي في العام 1862، وأصبح لبنان متصرفية في العام 1861.

كما أنَّ تدخّل الدول الأوروبية أضعف الدولة العثمانية، وخصوصًا في استغلالها لما كان يسمّى الامتيازات الأجنبية التي بدأت مع فرنسا، حيث رعت كلّ دولة أتباع مذهبها الديني، فروسيا مع الأرثوذكس، وفرنسا مع الكاثوليك، والإنكليز مع البروتستانت، مع العلم أنه لم يكن في الدولة العثمانية بروتستانت قبل العام 1850. هذا التدخّل، أوجد امتيازات اقتصادية لتلك الدول، ما أثّر سلبًا، وبمستوى كبير، في الصناعة الوطنية والمحلية.

عُدّت رسالة الماجستير (1975) فتحًا جديدًا تقريبًا حول تاريخ الإمبراطورية العثمانية، نظرًا إلى الأرشيف الوثائقي المعتمد عليه في إعدادها. صعوبة بالغة رافقت هذا البحث التاريخي أمام الدكتور/ الطالب عبد الرؤوف سنو آنذاك. كان التنقيب في أرشيف إسطنبول، وفي بعض الدول الأوروبية، مرهقًا للغاية، لم يكن ثمة توثيق ممنهج بالمعنى العلمي اليوم، ولكنه أصبح مدروسًا ومنظّمًا. كان لا بدّ من توضيح دور تدخل الدول الاستعمارية الغربية في شؤون الحكم العثماني، وتبيان حقيقة تلك «الامتيازات»، التي لم تكن أكثر من بوابة عبور نحو خلخلة هذا الحكم وتفكيك أواصر أقاليمه المترامية الأطراف.

المرحلة التوثيقية الأصعب

لكنَّ المرحلة الأصعب في عملية التنقيب في الأرشيف كانت مع الأرشيف الألماني، حين قصد سنو ألمانيا بغرض تحضير شهادة الدكتوراه. يقول: «أرسلت طلبًا لمقابلة البروفيسور بيتر فورت، وهو أستاذ في جامعة لندن، كي أعمل معه على مشروع أطروحة جيش الإنقاذ لفوزي القاوقجي، فلم يعجبه الموضوع، وبالتالي لم أُقبل في الجامعة. في العام 1975، قدّمت السفارة الألمانية منحتين للدراسة في ألمانيا، فساعدني الحاج توفيق حوري من جامعة بيروت العربية للحصول على منحة».

أجرى المعنيّون معه مقابلة، بعدما اختار «موضوعًا يهمّهم، وهو المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين. وطبعًا، سوريا المقصودة هنا هي بلاد الشام، ويقع لبنان من ضمنها». كتب سنو عن مصالحها، وكان الهدف أن يكتب عن المصالح الثقافية والتبشيرية، لكنَّ اندلاع الحرب الأهلية في لبنان جعله يطوّر موضوع الأطروحة، متطرقًا إلى الجانب السياسي والاقتصادي والتبشيري والثقافي.

نالت الأطروحة مرتبة الشرف، واستحقَّ جائزة عليها، وكان عنوانها «المصالح الألمانية في سوريا ولبنان في القرن التاسع عشر من 1842 حتى 1898»، وهو ما فتح له المجال للبقاء في ذلك البلد لسنوات، أعدَّ خلالها دراسات عديدة عنه وعن علاقاته الخارجية، ونشر كتبًا مختلفة.

خصوصية الأرشيف الألماني

رحلة كتابة الأطروحة وبقية الدراسات بعد ذلك، يرويها الدكتور سنّو بشيء من التفصيل، ولا يزال محتفظًا بنماذج عديدة من أوراق الأرشيف وما فيه من وثائق تاريخية. خاض غمار الأرشيف السياسي الألماني في بون التي كانت عاصمة ألمانيا الاتحادية قبل الوحدة في العام 1990.

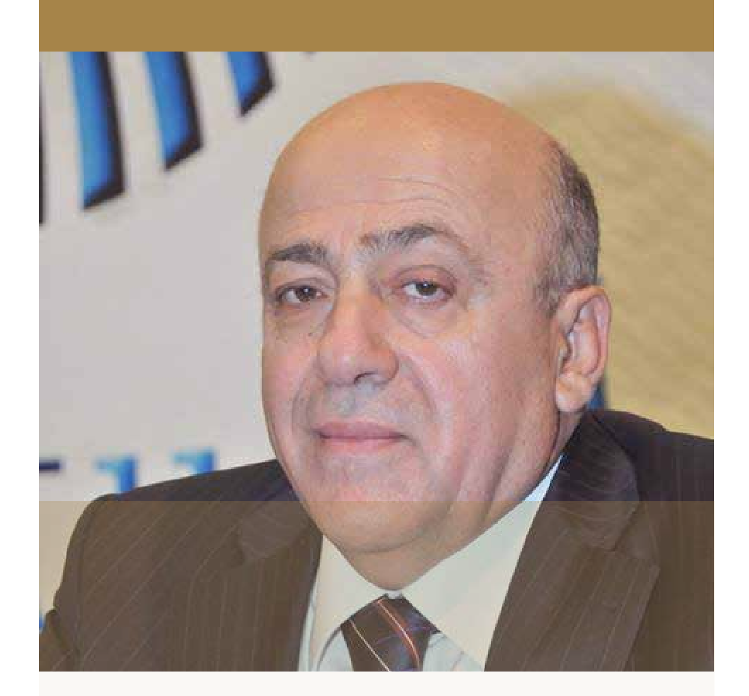
استمرّ عمله في التنقيب لمدة سنة تقريبًا. هذا الأرشيف كان محصورًا بحقبة نهاية القرن التاسع عشر، وهو ما اضطرّه إلى الانتقال إلى برلين، كي يطَّلع على الوثائق القديمة التي تغطّي القرنين الثامن والسابع عشر،

وتحوي آلاف الوثائق المتعلقة بالحرب الأولى والثانية، ولكن غالبًا ما كان هذا الأرشيف السياسي يصرّح عن وثائق مرّ عليها ربع قرن تقريبًا وليس أكثر، فلم يُسمح له بالاطلاع على كل ما يرغب فيه، بل كان المختصّون في هذا الأرشيف يحددون له ما هو مسموح الإفصاح عنه، وهو ما ينمّ عن حساسية شديدة لبعض هذه الوثائق، في حال تمّ الإعلان عنها، وخصوصًا أنها قد تعيد خلق مشاكل دُفنت في الماضي.

يقول سنو: «حين كنت أبحث عن وثيقة لمسألة محددة لأطروحتي، وقع بين يدي، من دون انتباه العامل المشرف في الأرشيف، أرشيف مخصّص للإرساليات التبشيرية التي كانت منتشرة في المشرق العربي. بعض هذه الوثائق يحدد بالتفصيل العديد من ممارسات هذه الإرساليات، من مثل سرقة الأموال، وخصوصًا مع مركز كان يسمّى «جمعية القدس»، ولكنه سرعان ما سُحب مني».

لم يكن فهم المئات من الوثائق في الأرشيف الألماني، والإنكليزي أيضًا، ميسّرًا بالنسبة إلى الباحث التاريخي سنّو، ذلك أنَّ معظم المعلومات التاريخية كانت تُكتب باللغتين الألمانية والإنكليزية القديمتين، وبخطّ اليد، وهو ما كان معتمدًا في تلك القرون، فواجه صعوبة بالغة في فهم هذه الخطوط. ويضيف شارحًا: «في ألمانيا، قُدم إليَّ كرّاس يقابل بين شكل الحروف القديمة والحديثة، كي أتمكَّن من فكّ حروف الكلمات. أحيانًا، كنت أستعين بأشخاص ملمّين بهذا الخط. عانيت فعلًا، وبذلت جهدًا كبيرًا لأتعرف إلى أحداث الحقب التاريخية التي كنت أنقّب عنها».

لم يكن فهم المئات من الوثائق في الأرشيف الألماني ميسّرًا، ذلك أنَّ معظم المعلومات التاريخية كانت تُكتب باللغتين الألمانية والإنكليزية القديمتين، وبخطّ اليد.



الباحث التاريخي الدكتور عبد الرؤوف سنو

مرّت عقود على ذلك اليوم. أما الآن، فأضحت عملية التنقيب في أيّ أرشيف، أوروبي أو غربي، أكثر سهولة. عندما قرّر سنو تأليف كتاب عن «ألمانيا والإسلام بعد الحرب العالمية الأولى»، وتحديدًا بين الحرب العالمية الثانية والعام 1972، وجد أنَّهم باتوا يعتمدون على طرق حديثة لتسهيل الاطّلاع على الأرشيف، فحين سافر إلى بريطانيا منذ 15 سنة، كان يبحث عن الوثيقة في صندوق ورقي. أما اليوم، فالوثائق موجودة في الحواسيب الإلكترونية، ويستطيع الباحث أن يحصل عليها تباعًا من خلال بحث إلكتروني دقيق.

الغريب في الأمر، كما يقول الدكتور سنو، أنَّ جزءًا كبيرًا من الأرشيف الألماني القديم، كانوا يعتمدون في كتابات وثائقه على اللغة الفرنسية في الخطاب السياسي خصوصًا، لأنَّ ألمانيا كانت دولة مجزأة (قبل أن تتوحد)، وكان للفرنسيين تأثير واضح في المناطق الجنوبية الألمانية. ولكن بعد الحرب العالمية الثانية، لم نعد نجد أي وثيقة مكتوبة باللغة الفرنسية، بل بالإنكليزية، نظرًا إلى بدء هيمنة الولايات المتحدة الأميركية في العالم.

لبنان في الأرشيف الألمانيّ

يغلب الطابع السياسي على مواد الأرشيف الألماني، غير أنّ الأمر لم يمنع من وجود وثائق تتعرّض لمناحٍ أخرى من الحياة الاقتصادية والاجتماعية ومافيات الفساد، وخصوصًا الرسائل والبرديات التي كان السفراء والقناصل الألمان يرسلونها إلى حكومة بلادهم، فقد كانت السفارات تشبه مراكز مخابرات للدولة، وكانت تمتلك حصانة. يشير الدكتور سنو إلى وجود أرشيف ألماني خاص بالوثائق الاقتصادية، كان يقصده في «كوبلنز». أما أرشيف الوقائع والأحداث العسكرية، فهو متوفر في «فرايبورغ»، وهو يزخر بوثائق عسكرية تتعلّق بالحروب.

يروي أستاذ التاريخ قصَّة قرأها في إحدى الوثائق، تنقل بدقّة كيف كانت المخابرات الألمانية تعمل في لبنان. يقول: «في الحرب العالمية الثانية، برز شخص اسمه يونس البحري. كانا مذيعًا في إذاعة برلين ضد الحلفاء. سمعت تسجيلات خاصَّة به، ووجدت تقارير عما كانوا يتداولونه من أحاديث في مقهى الشرق قبل حرب لبنان، والذي يبدو أنّه كان مركزًا للمخابرات الألمانية. في هذه الحرب، سقط لبنان تحت حكومة فيشي الفرنسية المعارضة لحكومة فرنسا الحرّة برئاسة شارل ديغول».

كشف البروفيسور سنّو أيضًا سرًا لا يُشاع في لبنان، تؤكّده الوثائق التي اطّلع عليها في الأرشيف الألماني، وهو يتعلّق بالأمير شكيب أرسلان - شخصية تاريخية في جبل لبنان - حين كانت بعض الحركات العربية واللبنانية تتعاون مع ألمانيا، وتحدَّث عنها بإسهاب في خمسين مقالًا. عُرف عن شكيب أرسلان أنَّه كتب نحو ثلاثين مقالًا في الصحف الألمانية حين أقام في ألمانيا، وعندما سقطت الإمبراطورية وتفكَّكت، تحوّل من الإسلام إلى العروبة، فأصبح مع القومية العربية. يقول سنو: «بحثت عن هذه المقالات ووجدتها، وأجريت حولها بحثًا دقيقًا معتمدًا على وثائق ألمانية في الأرشيف. عندها، تبيّن لي عدم صحّة تلك المعلومة».

في الحرب العالمية الأولى، كان للألمان مكتب يعمل فيه مستشرق ألماني اسمه مات فوراوبنهغ، وهو من كتب عن حياة البادية والآثار، وعن العراق وسوريا والبدو في الجزيرة العربية والقوميات العرقية والأكراد... سُلِّمَ إليه مكتب دائرة الاستخبارات الألمانية، وكان يتواصل مع الحركة القومية العربية، ومع الجماعات المؤيدة لألمانيا، وكان من مهامه نشر مقالات مختلفة ونسبها إلى شخصيات عربية، بهدف تحقيق التأثير لمصلحتهم. طبعًا، كان الأمر يجري بالاتفاق مع تلك الشخصيات. ويؤكّد سنو، بصفته باحثًا تاريخيًا، أنَّ أرسلان لم يكن حليفًا بقدر ما مارس دور الأداة، فألمانيا لم تكن حليفًا للحركة العربية، بل داعمًا للعثمانيين.

الحيادية في البحث التاريخي!

لعلَّ ما أدلى به البروفيسور سنو كان دافعًا لنسأله: متى يقرّر الباحث التاريخيّ عدم نشر وثيقة تكشف عن حقيقة قد تثير خلافًا بين أبناء المجتمع نفسه أو بينه وبين مجتمعات أخرى؟ وإلى أيّ مدى يلتزم الباحث بالحيادية والموضوعية؟

في رأي سنو، حين يكون الباحث إيديولوجيًا، ويبحث عن أدلَّة ليثبت فكرة محدّدة، قد يقع فريسة صراع مع ضميره الإنساني حين يكتشف ما لا يسرّ أحدًا. في لبنان، حدث أن نشر المؤرخ عادل إسماعيل وثائق فرنسية حول إحدى الكنائس المسيحية، فاستنكر عليه البعض عدم التنقيب في العديد من الروايات، وقيل له إنه أخفى عددًا من الوثائق لأغراض خاصّة، ظنًا منهم أن ما يخفيه إيجابي بحقّ تلك الكنيسة، فاضطر إلى الردّ عليهم، مبينًا حقيقة بشعة حول فضائح جنسية بين الراهب والخوري وأحداث مرتبطة بتلك الروايات. ويضيف: «عندما التقيته، أسرّ لي تحفظّه على عدم نشر كلّ الحقائق التي توصَّل إليها، رغم أنه حاول الحفاظ على الحيادية إلى حد كبير».

لا حيادية تامَّة في عمل الباحث التاريخي، إذ تتداخل العلوم السياسية بشكل عميق في البحث التاريخي. لذا، من المهمّ انتظار مرور عقود على الحدث كي يُقوّم فيه الرأي السديد إلى حدّ مقبول. في التاريخ، لا يوجد شيء نهائي، فلا بد أن تُكشف وثيقة ما لاحقًا، تُظهر حقيقة لم يتوقَّعها أحد. مثلًا، المؤرخ إسكندر رياشي كان صحافيًا كبيرًا توفي في العام 1958. خلال الحكم العثماني، تملَّك جريدة يومية، وحورب لما كان ينشره من وقائع، فهاجر إلى الخارج. وعندما عاد إلى وطنه، نشر كتابين، وكشف عن فضائح معظم السياسيين السياسية والجنسية وعمالتهم لدول الغرب وغيرها.

الأرشيف في لبنان لا يزال غير منظَّم وفق الأساليب العلمية المتطورة حاليًا من تصنيف وتبويب، فمن الصعب جدًا على سنّو العمل والتنقيب فيه. قد يضطر بعض الباحثين إلى الأخذ بآراء خاصة حيال قصَّة أو حادثة ما، وهذه مسألة خطرة، وخصوصًا إن لم يكن الباحث متمرسًا، بحسب قوله، فقد يقع ضحية وجهة نظر الدولة. لذلك، يفترض به البحث عن أرشيف آخر ليدعم روايته. ولا ينفي سنّو هنا أهمية الأرشيفات الخاصة المعتمدة على الذاكرة الشعبية، فحين يتوافر التاريخ الشفهي والرواية الشفهية تتغيَّر أمور عديدة، يختم.

زينب الطّحان: أستاذة جامعيّة وكاتبة وصحافيّة لبنانية. تخصّصت في النّقد الأدبي والسّرد الروائيّ، وأعدَّت أطروحة الدكتوراه حول الهجرة والهوية في رواية "بدايات" لأمين معلوف. صدر لها كتابان حول آداب ما بعد الكولونيالية.

للتّواصل عبر الإيميل: riza_zein@hotmail.com



مدير المؤسسة العربية للصورة مارك معركش يتكلم عن مشاريع المؤسسة

ديوان الذاكرة

المؤسَّسة العربيَّة للصّورة
جوّالة يؤرخون تاريخ العالم العربي من خلال الصّورة

غفران مصطفى

وجوه غريبة في ألبوم كبير. على كلِّ صورة رقم كُتِب بالقلم الأحمر العريض. لا معنى لكلِّ صورة بمفردها، ولا أسماء تدلّ عليها، فيُستعاض المعنى بالتصاق الصّور الشمسية بجانب بعضها البعض، لتصير عشرات الوجوه في صفحة واحدة. وجوه «مُكشّرة» وأخرى متبسّمة، وكثير منها يختزن قصصًا مخبوءة خلف الملامح وخلف اللونين الأبيض والأسود. صور التقطها المصوّر شفيق السوسي في استديو «السوسي» في صيدا، في فترتي الخمسينيات والستينيات، ووصلت إلى المؤسَّسة العربية للصورة التي تتكفَّل اليوم بحفظها، لتضاف هذه المجموعة الصوريّة إلى أرشيفها.

دراسة لتاريخ الصّورة

مجموعة «السوسي» ليست الوحيدة في أرشيف المؤسَّسة، فهي تضمّ منذ تأسيسها في بيروت في العام 1997 وحتى اليوم، قرابة 600000 صورة. وإضافة إلى هذه المجموعة، تملك المؤسَّسة مجموعات فوتوغرافية من عدد من البلدان العربية، من مثل لبنان وسوريا وفلسطين والأردن ومصر والمغرب والعراق، وعدد من بلدان الخليج العربي، من مثل السعودية وقطر والإمارات، وأيضًا من جاليات عربيّة في كلٍّ من إيران والمكسيك والأرجنتين والسنغال.

لم يكن بناء المؤسَّسة في البداية قائمًا على نظام مؤسَّساتيّ، فهُويتها خلقها عدد من الفنانين. يقول مدير المؤسسة العربية للصورة مارك معركش، شارحًا ظروف نشأتها: «فكرة المؤسَّسة ولدت بعد انتهاء الحرب الأهلية في لبنان. في هذا الوقت، لم يكن ثمة مؤسَّسة في لبنان قادرة على حفظ التراث الفوتوغرافي للحرب وللفترة التي تسبقها، بل كان الناس يمتلكون مجموعات فوتوغرافية كثيرة، ولم يكن يوجد مكان لحفظها. لهذا السَّبب، قرر المؤسّسون أن يتبنّوا عملية الحفظ، ويدرسوا الممارسات المختلفة للصورة وتاريخها في لبنان والمنطقة العربية».

يوضح معركش أنَّ الهدف في بداية التأسيس لم يكن دراسة تاريخ المنطقة العربية من خلال الصورة، بل دراسة تاريخ الصورة في المنطقة العربية. ومع رواج اسم المؤسَّسة في فترة التسعينيات، بدأ عدد من الفنانين بالانتساب إليها، حتى توسَّع عملها وسافر أعضاؤها إلى بلدان عدة بهدف جمع أكبر عدد من الصّور ذات القيمة الأرشيفيَّة.

معايير اختيار الصّور في المؤسَّسة منذ انطلاقتها لم تكن موحّدة، فإلى جانب اهتمامها بالقيمة الفنيَّة للصورة، صبّت اهتمامها أيضًا على الممارسات المحيطة بها، أي الظروف التي التقطت فيها، الحقبة الزمنية، المصوّر، المكان، مضمون الصورة، وغيرها.

يُفنّد معركش عمل المؤسَّسة بأربعة أفعال هي: الجمع والحفظ والأرشفة والنشر. وفي الفترة الزمنية الممتدة من العام 1997 وحتى العام 2017، كان التركيز الأكبر على عمليتي الجمع والحفظ. العدد الأكبر من المجموعات الصوريّة حصلت عليه المؤسَّسة في السنوات السبع الأولى منذ تأسيسها. حينها، كان أعضاؤها يقومون بجهود شخصية للجمع، لكن في وقت لاحق، وبعدما تعرَّف الناس إلى عملها، صاروا يمدّونها بمجموعات جديدة لهم أو لأشخاص يعرفونهم، حتى كبرت المجموعات الصورية فيها، ووصلت إلى 301 مجموعة، كلّ واحدة منها لديها خصائصها وتاريخها. واليوم، تحتوي أكبر مجموعة فوتوغرافية في المؤسَّسة 150 ألف صورة، فيما تحتوي أصغر مجموعة نصف صورة.

لم تكن مصادر المجموعات الصوريّة واحدة، بحسب معركش، فمنها ما جمعه مصوّرون محترفون، ومنها ما جمعه هواة، وأخرى جمعها مصوّرون صحافيون، أو جُمعت من استديوهات، أو من أفراد يملكون كاميرات ويوثقون حياتهم وحياة عائلاتهم في ألبومات عائلية غير تجاريَّة.

«تساعدنا هذه الصّور على معرفة الطبقات الاجتماعية التي ينتمي إليها أصحابها من خلال مصادرها، فالذين كانوا يملكون الكاميرات في الماضي ويستطيعون تظهير صورهم، كانوا يعدّون من العائلات الميسورة ماديًّا، بينما الصور المظهّرة في استديو كانت لطبقات مختلفة، لأنَّ غالبية الأسر كانت تقصد الاستديو في المناسبات والأعياد»، يقول معركش.

بين فترتي الأربعينيات والسبعينيات، استُحدثت ممارسات جديدة في مجال التقاط الصور. هذا الأمر كان يعني المؤسسة بشكل كبير في عملية الجمع، إذ إن الأهمية لا تكمن بالصور نفسها، بل بالممارسة المحيطة بها، حين صار المصوّرون يخرجون إلى الطرقات، ليصوّروا الناس، ومن ثم يدعونهم إلى استلام صورهم من «استديوهاتهم» من دون أي بدل مادي. وبهذه الطريقة، كانوا يروّجون لأعمالهم.

مجموعات فوتوغرافية متنوّعة

تملك المؤسسة العربية للصورة مجموعات فوتوغرافية من أشخاص معروفين وآخرين مجهولين، ومن حقبات زمنية مختلفة، ومن بلدان متعددة، فهي تمتلك، مثلًا، مجموعة صورية مؤلّفة من 90 ألف صورة من المعماري العراقي رفعت شادرجي، وتعود إلى فترة الخمسينيات، وهي صور لمرحلة إعادة إعمار بغداد.

غالبية المجموعات الصورة تعود إلى فترة الخمسينيات والستينيات. وتوجد في المؤسسة أيضًا مجموعة من استديو «photo jack» في طرابلس، تحتوي 97 ألبومًا، ولكلِّ ألبوم رقم خاص به. ويوجد أيضًا صور من المصوّر أكرم زعتري والمصوّر هاشم مدني الذي كان يملك استديو «شهرزاد» في صيدا، ومجموعات من إيران للمصوّر نيجار عزيمي، كانت تركّز على سلالة كاجار، وتكمن أهميتها في أنها صور تاريخية بحتة، مع القليل من الاهتمام بالجوانب الجمالية أو الاجتماعية والسياسية للصورة.

واجهت المؤسَّسة صعوبات في الحصول على مجموعات صورية في منطقة الخليج، بسبب امتناع أصحابها عن إخراج هذه المجموعات من أراضيها. كذلك الأمر في الجزائر، إذ لم تستطع الحصول على أيّ مجموعة فوتوغرافية منها.

يقول معركش إنَّ المؤسَّسة تمتلك مجموعة مصوّرة لا تعرف أي معلومات عنها، سواء عن هوية المصور أو مصدرها أو مضمونها. في هذه الحالة، تحدّد المؤسّسة المعيار الذي ستؤرشف على أساسه هذه الصّور، كما تفعل مع باقي المجموعات.

ويضيف: «أحيانًا، نقع في إشكالية أن تبقى بعض الصور مع النيغاتيف الخاص بها، فبين أن نبقي عليها كما أتتنا، وما قد ينتج بعد ذلك من ضرر بالصور أو بالنيغاتيف، أو أن نفصلهما، فإننا نفضّل أن نخاطر في عدم فصلهما، حتى نحافظ على الطريقة التي جاءتنا فيها المجموعة».

تركّز المؤسَّسة على الحقبة الممتدة بين الأربعينيات والسبعينيات، وتملك حتى اليوم صورًا تعود إلى العام 1860 والعام 1993، لكن معركش يلفت إلى ضرورة إضافة مجموعات معاصرة إليها، كمجموعات تعود إلى فترة الحرب الأهلية، إضافةً إلى العمل على طرق جديدة تقوم على جمع الصور، من خلال وضع عناوين يحدد على أساسها الجمع، كالحركات النسوية في العالم العربي.

لا يوجد اليوم في المؤسَّسة باحثون يعملون على توثيق المجموعات، فهي تستدعي فنانين وباحثين من خارجها لتوثيق هذه المجموعات، ويقتصر عملها على تدوين مضمون الصورة. هذا الأمر يسهّل طريقة البحث عن الصور لديها، وفي الموقع الإلكتروني الخاص بها، إذ سيجري العمل في وقت

هدف المؤسّسة كان في البداية دراسة تاريخ الصورة في المنطقة العربية، ولكنّه سيتغير تباعًا ليصبّ على فهم تاريخ لبنان والمنطقة من خلال الصورة.



صور قديمة تمت فهرستها وفقًا لموضوعاتها

لاحق على نشر 35 ألف صورة في الموقع، لتصبح متاحة للناس، في وقت تساهم المجموعات في المؤسسة في خلق دراسات اجتماعية وإنثروبولوجية وغيرها.

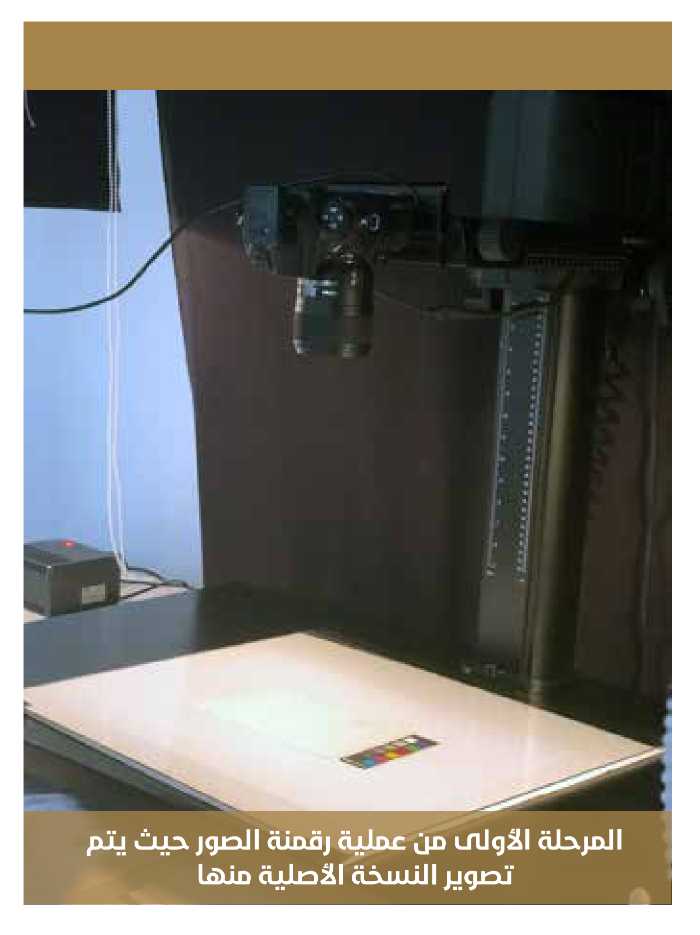
الاهتمام الأساسي للمؤسسة اليوم يصبّ على وضع هذه الصور بين أيدي الناس، حتى يستفيدوا منها في أبحاثهم التي تتمحور حول الممارسات المتعلقة بالصور، وكيف كانت الصور تلتقط في الماضي والظروف المحيطة بها. في هذه الحالة يتحوّل اهتمام المؤسَّسة من الصورة نفسها إلى الممارسات المتعلقة بها. على سبيل المثال، هناك صور التُقطت بالأبيض والأسود، وقام المصوّر بتلوينها بالريشة، وأخرى عبارة عن صور شمسيَّة، لكنها تختلف بين بعضها البعض من خلال إبراز المصوّر لقدراته في جعل الصور الشمسية مميزة عن غيره.

أساليب الحفظ والترقيم

منذ العام 2015، لم تعد المؤسَّسة العربية للصورة تستقبل مجموعات فوتوغرافية جديدة، لانشغالها في ترقيم المجموعات الموجودة لديها، واستطاعت حتى اليوم ترقيم 57 مجموعة من أصل 301 مجموعة تملكها. «هذا الرقم يعدّ كبيراً، لأن العمل على الحفظ والتنظيف وإعادة وضع المجموعات في مواد تخدم الأرشفة والترقيم يستغرق وقتًا طويلًا»، يقول مدير المؤسسة مارك معركش، ويلفت إلى أنَّ جميع التقنيات المستخدمة فيها حديثة وبمعايير عالمية.

تعرّف المؤسّسة عن نفسها بأنها لا تبغي الربح، وتعتمد في عملها على المساعدات المالية. يوضح معركش أنّ التمويل لا يفرض عليها هُويتها، بل يفرض أحيانًا التركيز على أمور معيّنة دون غيرها، «فمثلًا، يصبّ التمويل اليوم بالدرجة الأولى على الترقيم، لكن هناك مراحل مهمّة تسبق الترقيم يجهلها كثيرون، هي التنظيف والحفظ بمواد عالية الجودة، وهي ذات كلفة عالية».

تحافظ المؤسسة على الصور كما تصلها، وتعمل فقط على تعديلات بسيطة في الألوان وحدّة الصورة، حتى تكون المجموعات قريبة من الغرض الصوري الذي يريدونه. وفي حال وصلت إليهم صور داخل إطارات، فإنهم يحافظون عليها كما هي، لأن «الإطار جزء من قصة الصورة». تحفظ المجموعات الصورية في غرفة مبردة، هي عبارة عن 11 مترًا مربعًا، وتوزّع داخل علب، وقد تتوزع المجموعة الواحد على أكثر من علبة، بحسب نوعية المجموعة (مطبوعة، زجاج، negative)، وبحسب قياس الصور.



المرحلة الأولى من عملية رقمنة الصور حيث يتم تصوير النسخة الأصلية منها

ألبوم صور شمسية كان قد جمعه المصور شفيق السوسي في صيدا في الستينيات

جزء من أرشيف المؤسسة المؤسسة العربية للصورة حيث تحفظ مجموعات الصور الموجودة لديها



الخبير التقني في المؤسسة العربية للصورة يعالج إحدى الصور القديمة



رقمنة صورة قديمة



تتمّ عملية الترقيم من خلال وضع النيغاتيف أو الصورة على سكانير (scanner) مسلّط عليها ضوء، تعلوها كاميرا digital لتصوّر المادة المطبوعة أو غير المطبوعة، ومن ثم تتمّ إضافتها إلى الكمبيوتر وإجراء التعديلات الضرورية واللازمة عليها. تحفظ المجموعات المرقمة بنسختين، واحدة «ماستر فايل» والأخرى «ري تاتشد فايل».

مشاريع صُوريّة ومكتبية

في العام 2011، أضيفت مكتبة مختصّة بالصورة تحديدًا إلى المؤسَّسة، وضمَّت في البداية 1000 كتاب، وصولًا إلى 2200 كتاب. تُعنى الكتب أيضًا بممارسات الأرشفة في المنطقة العربية والعالم. ويقول معركش إن هذه الكتب ستصبح في شهر أيلول/ سبتمبر المقبل متاحة لكل الناس ليستفيدوا منها، فالمكتبة شكَّلت إضافة للباحثين الذين يعملون على دراسة المجموعات الصورية في المؤسَّسة.

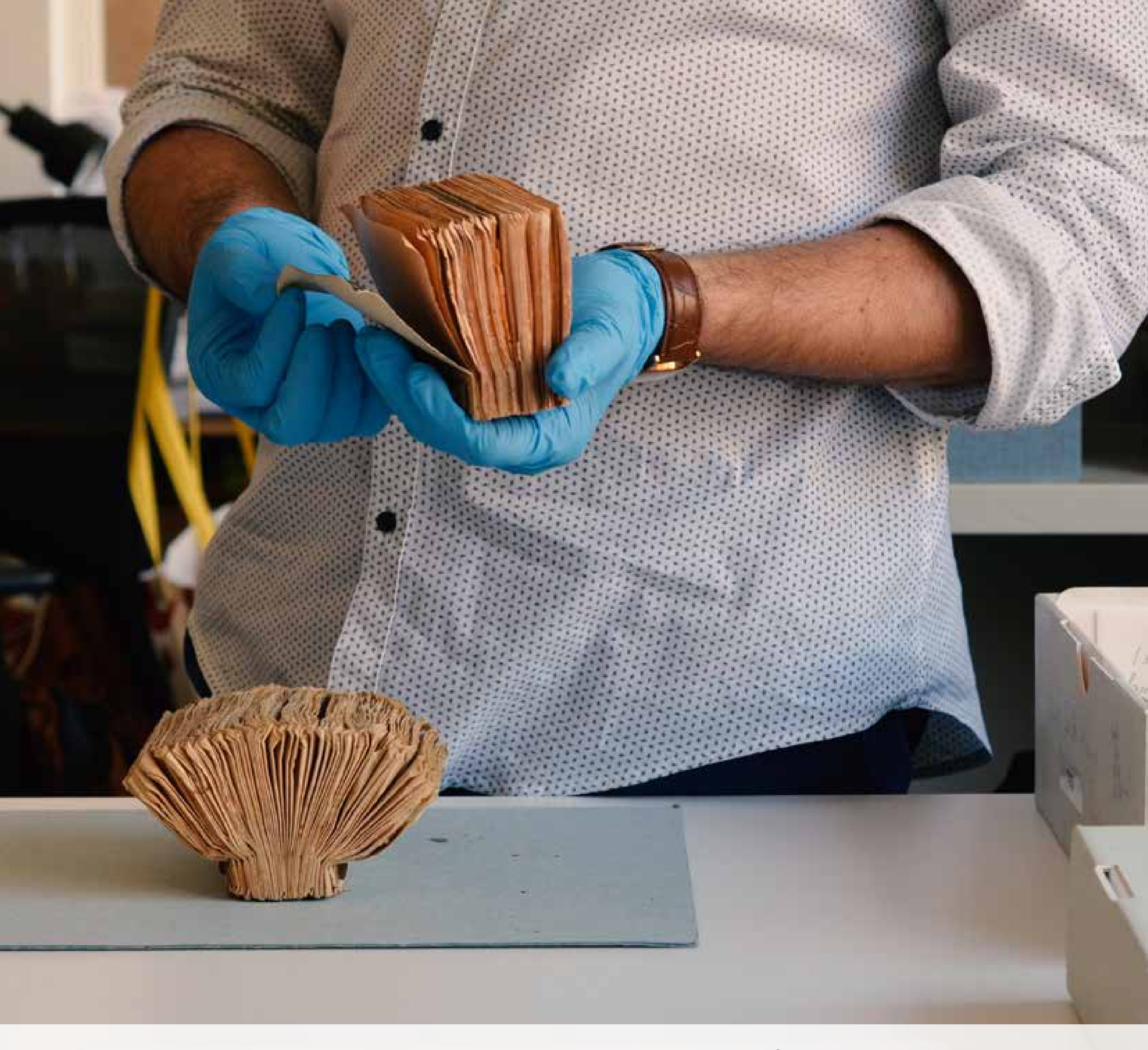
وبسبب ظروف العمل، لم تكن المؤسَّسة قد فتحت أبوابها منذ وقت طويل للعموم، لكن، وفي شهر أيلول/ سبتمبر المقبل، ستفتح أبوابها من جديد لجميع المهتمين بالصّورة والأرشيف.

أصدرت المؤسسة في السنوات العشرين الماضية سبعة كتب تتضمن أعمالها. وفي هذا العام، ستصدر ثلاثة كتب جديدة، إضافةً إلى أنها نظمت 15 معرضًا في بلدان عالمية عدة، وقريبًا سيتم العمل على معارض صُورية في لبنان والمنطقة بشكل مكثّف.

تعمل المؤسّسة اليوم على إعادة تصويب أهدافها ومشاريعها. ومن ضمن الأهداف المستحدثة هو الدور التثقيفي، من خلال ورش عمل ستقام في وقت قريب لطلاب المدارس والجامعات والباحثين والمختصّين في مجال الصورة على الصعيدين المحلي والعالمي. والدور الذي كانت تؤديه في الماضي، وهو فهم تاريخ الصورة، سيتغير تباعًا ليصبّ على فهم تاريخ لبنان والمنطقة من خلال الصورة.

غفران مصطفى: منتجة برامج في تلفزيون الميادين. حائزة على شهادة ماجستير في علوم الإعلام والتواصل من الجامعة اللبنانيّة في بيروت. نشرت عددًا من المقالات الأدبية والاجتماعية في جريدتي السفير والأخبار.

للتواصل عبر الإيميل: ghofran.moustafa@gmail.com



مدير المؤسسة العربية للصورة يشرح آلية العمل عبر الحفاظ على الممارسات التصويرية في المجموعات الصورية



تمنح مؤسَّسة حصر التبغ والتنباك اللبنانية التراخيص للمزارعين لزراعة التبوغ، وتُشرف على أساليب الزراعة لضمان الجودة العالية

ثقافة أرشيفية

جودة الحفظ الأرشيفي
المعايير وتطبيقاتها في إدارة حصر التبغ والتنباك اللبنانية

فرح سبيتي

يمكن أن تكون عمليّة إدارة المستودعات الأرشيفيَّة والسّجلات صداعًا حقيقيًا. لذا، يُعدّ الامتثال لمعايير الحفظ الأرشيفي في كلّ المؤسّسات أمرًا بالغ الأهميَّة، بدءًا من عملية الوصف والتخزين وحفظ المستندات، وصولًا إلى الأرشفة الورقيَّة والإلكترونية، ما يتيح الفرصة للقيام بعملية إدارة توثيق دورة حياة المستندات وأرشفة السجلات بشكل موحّد، وهو الأمر الَّذي قامت به إدارة حصر التبغ والتنباك اللبنانية/ الريجي للحصول على شهادة معيار 9001:2015 العالمي.

هذا الامتثال لمعايير عملية حفظ الأرشيف من ناحية التنفيذ يساهم في استرجاع المستندات بشكل بسيط، من خلال توحيد أوصاف الوثائق، وكسب ثقة المستخدمين أو العملاء بالأرشيف والمحفوظات، إضافةً إلى ضمان سلامة الوثائق المؤرشفة.

ما هي منظَّمة الآيزو Iso؟

تأسَّست المنظَّمة الدوليَّة للمعايير International Organization for Standardization (آيزو ISO) بتاريخ 23 شباط/ فبراير 1947 في جنيف (سويسرا)، وتضمّ 162 عضوًا وطنيًا من مجموع 195 بلدًا في العالم، وهي تعتبر إحدى وكالات الأمم المتحدة المتخصّصة في مجال توحيد القياس العالمي في مختلف مجالات العمل.

معايير الآيزو الشهيرة في مجال الأرشيف

أصبحت الآيزو نظامًا دوليًا متعارفًا عليه لجودة السّلع والخدمات، ما يحتّم على المنظَّمات والمؤسَّسات، ومنها مؤسَّسات المعلومات، من مكتبات ومراكز أرشيف، الأخذ بمنهج الجودة، عن طريق تطبيق المواصفات الدولية للجودة، مع مراعاة المتغيّرات والتطور التكنولوجي. ولأنَّ وضع المعايير هو عملية مستمرة، فعلى أمناء الأرشيف السعي إلى تطبيقها.

A - معيار 11799

يحدّد معيار 11799 خصائص المستودعات المستخدمة لتخزين مواد المكتبات وسجلات الأرشيف على المدى الطويل، وهو يغطّي الموقع والبناء وتجديد المبنى والتركيب والمعدات المستخدمة في داخله وحوله.

أما أهمّ مضمون بنوده، فتتلخَّص فيما يلي:

1. أن يكون موقع المبنى قريبًا من المستخدمين، وبعيدًا من مناطق الفيضانات والمناطق ذات التربة القابلة للانزلاق، وأن يكون بعيدًا عن المصادر المسبّبة للحريق والانفجار، وعن المناطق الملوّثة بالغازات والانبعاثات الكيماوية، والمناطق العسكرية.

2. أن تُقدّر مساحة المبنى بـ 3000 م^2، لتشمل أربع مناطق مختلفة، هي: منطقة الحفظ (مخازن الأرشيف)، منطقة الإدارة، منطقة المعالجة (ورشات الفرز، مختبرات الترميم، وقاعات التصوير). وأخيرًا، منطقة مخصَّصة للجمهور.

3. أن يُؤمَّن المستودع ضد السرقة والسطو والتخريب والإرهاب، مع نظام مراقبة للمداخل الرئيسيّة ومخارج الطوارئ.

4. أن تُراقب الكثافة والمدة والتوزيع الطيفي للإضاءة في مستودع الأرشيف لتقليل الضَّرر، فالمواد تتفاعل بشكل مختلف مع الضّوء. ويُفضّل أن تكون الإنارة من الضَّوء البارد 100 Lux على مستوى الأرضيّة، وأن لا تكون المصابيح ملامسة للرفوف والعلب الأرشيفيّة.

أما مواصفات قاعة الأرشيف، فتحدّد بالتالي:

مساحات القاعة: يجب أن لا تتجاوز مساحة المخزن 200 م^2، وأن يكون الممر الرئيسيّ 120 سم، والممرات الفرعية 80 سم.

الأرضيّة: يجب أن تكون الأرضية من الإسمنت، وأن تُغطى بالبلاط (غير قابلة للاحتراق وغير حاملة للغبار).

الأبواب والنوافذ: يجب أن تكون مضادة للحريق، وأن يكون هناك نظام إغلاق تلقائي في حال نشوب حريق. عرض الباب 120 سم، أما النوافذ (فتحات تهوئة)، فلا يتعدّى عرضها 0.3 م وطولها 0.9 م.

الخزائن: خزائن حفظ الخرائط والمخطّطات المسطّحة، وخزائن حفظ الأوعية الإلكترونيّة، وخزائن حفظ الوثائق الثمينة، وهي ذات أدراج لحفظ الملفات المعلّقة.

الرفوف: يجب أن تكون حديدية من الفولاذ القوي، بارتفاع 2.20 مترًا بأنواعها المختلفة (ثابتة، متحركة، أو متحركة عموديًا). يتراوح طول الرفّ من 100 سم إلى 120 سم، ويتراوح عمقه من 30 سم إلى 40 سم. أما بالنّسبة إلى قاعدة الرفوف، فيجب أن ترتفع عن مستوى الأرض بعلوّ 10 سم.

العلب والملفّات: يجب أن تكون من الورق المقوّي، وأن تكون خالية من المواد الحمضيّة والمواد الحادة والقابلة للصدأ، بهدف حفظ الوثيقة من التّلف. وتتراوح مقاسات علب الأرشيف، فيكون الطول 35 سم، والعمق 27 سم، والعرض 8 سم. أما مقاسات الملفات، فيكون الطول 30 سم، والعرض 22 سم.

ويجب أيضًا توفير الشروط المناخية المناسبة، لأن درجة الحرارة ونسبة الرطوبة تؤثر في المقتنيات، الأمر الَّذي يرتبط بطريقة بناء الجدران وسقف المبنى وأرضيته وإمدادات التهوئة. كما يجب توفير خاصيَّة تنقية الهواء في نظام التكييف للتخلّص من الغبار والملوثات.

يبرز الجدول أدناه درجات الحرارة ونسب الرطوبة لكلّ أنواع أوعية الوثائق:

نسبة الرطوبة	درجة الحرارة	طبيعة الوعاء
%55 ± %5	c°2 ± c°18	الورق
5% ± % 35	c° ± 1 c°17	الأفلام (أبيض وأسود)
25%	c° ± 2 c°6-	الأفلام (ملوّن)
5% ± % 35	c° ± 1 c°12	الصور الفوتوغرافية (أبيض وأسود)
5% ± % 35	c° ± 1 c°5	الصور الفوتوغرافية (ملون)
5% ± % 40	c° ± 1 c°18	الأوعية الإلكترونية
5% ± % 50	أقل من 20 c°	الأقراص الضوئية
5% ± % 35	c° ± 2 c°18	المصغّرات الفيلمية
40%	±c° 18	الأفلام الفضّية

المواد الممنوعة في حفظ الأرشيف

- غاز الهليون المحظور دوليًا.
- رشاشات الماء لإطفاء الحريق.
- الأرضيات الخشبية.
- أرضيات السجاد.
- النوافذ الواسعة.
- الدباسة والخرامة.
- فرامة الورق.
- الخزائن الخشبيّة.
- الأبواب الخشبية.

المخاطر والكوارث الأرشيفيَّة

إنَّ عملية الحفاظ على رصيد الذاكرة والأرشيف تواجه العديد من التحديات والمخاطر، منذ أن ظهرت الكتابة على ورق البردي، وصولًا إلى الأرشيف الإلكتروني. أما أنواع المخاطر، فهي:

1. مخاطر بيئية وطبيعية (الحشرات والقوارض، التعفّن والفطريات، الحرارة والرطوبة والضوء، الغبار والرمال والملوّثات والفيضانات).
2. المخاطر البشرية (الحرائق، السرقات، الحروب، والإرهاب).

أما الإجراءات الوقائية لحفظ الأرشيف، فهي:

- تنظيف المبنى وصيانته بشكل دوري.
- رشّ المبيدات من دون إلحاق الضرر بالوثائق.
- إقفال جميع المنافذ التي يمكن دخول الحشرات منها.
- استخدام التكييف والتهوئة المنتظمة لضمان تجدّد الهواء.
- استخدام الأجهزة المطابقة للمعايير العالمية في ضبط درجة الحرارة والرطوبة بحسب الوعاء.
- عدم وضع قاعات الأرشيف في قبو المبنى.
- عدم تمرير أنابيب المياه أو قنوات الصرف الصحي عبر قاعات الأرشيف.
- وضع خطّة طوارئ لمواجهة الفيضانات والحرائق والحروب.
- عزل قاعات الأرشيف عن الزيوت والبنزين والغاز.
- تزويد المبنى بأجهزة الإنذار المبكر ضد الحريق، مع مراقبةٍ وصيانةٍ دورية.
- تركيب نظام مراقبة بالكاميرات داخل قاعة الأرشيف وخارجها لتفادي السرقات.
- وضع نظام للحراسة بالمناوبة.

تُعتبر المواصفات الخاصة بحفظ الأرشيف عنصرًا أساسيًا في الحفاظ على الوثائق والسّجلات بمختلف أنواعها. لذا على المؤسَّسات الأرشيفية تطبيق المعايير والمواصفات العالمية كافّة، بدءًا من مرحلة تصميم المشروع وصولًا إلى تطبيقه.

B - معيار 15489-1

إنّه دليل تنظيم الوثائق الأرشيفية وإدارتها. صدرت الطبعة الأولى من المعيار العالمي الأول لإدارة السجلات في العام 2011، وهو يتضمن مبادئ لتوجيه إنشاء السجلات والوثائق وإدارتها وتنظيمها وحفظها في أيّ بيئة مع مرور الوقت بطريقة ملائمة.

يعتمد المعيار على أسلوب التقييم المستمر والتحليل المتكرّر لسياق الأعمال، وتحديد السجلات الواجب إدارتها، وذلك عبر المراقبة المستمرة لعملية السجلات من مرحلة الإنشاء والفهرسة والتصنيف والتحكّم في الوصول إليها وتخزينها، إضافةً إلى عملية الاستخدام والاسترجاع، وصولًا إلى تحويل السجلات أو تلفها.

تغيَّر مفهوم «السجل» في ظلّ التحوّل الرقمي. ومع ذلك، فنحن نقوم بصنع السجلات وحفظها بأشكال كثيرة! ولكن سواء كانت بيانات أو مستندات أو أيّ شكل آخر من المعلومات، فإنَّ مهمتنا تبقى في سياقها الصحيح، من خلال إدارتها على مدى الوقت. من أهمّ مبادئ هذا المعيار ما يلي:

- إنشاء السجلات وتسجيلها وإدارتها جزء لا يتجزأ من إدارة الأعمال في أيٍّ سياق.

- السجلات دليل موثوق لما تمتلكه من خصائص النزاهة وسهولة الاستخدام (بغض النظر عن الشكل أو الهيكل).
- السجلات تتكوَّن من المحتوى والبيانات الوصفية التي تصف سياقها ومحتواها وعملية إدارتها.
- قرارات إنشاء السجلات وإدارتها تستند إلى السياقات القانونية والتنظيمية.

كما يشدّد المعيار في تخزين السجلات على مراعاة طريقة تحميها من الاستخدام غير المصرّح به، وطريقة الوصول أو التغيير أو الفقد أو التدمير، بما في ذلك السرقة والكارثة، وهذا يعني أنّ السجلات يجب أن تكون قد وضعت في بيئة تخزين مناسبة، مع استخدام مواد الحماية والإجراءات الخاصَّة عند الضرورة، وصولًا إلى تطوير إجراءات التخطيط المرخّص لها في مواجهة الكوارث وتدريب الموظّفين المعنيين.

يُعتبر معيار 15489-1 أساس المعايير والتّوجيهات القائمة، نظرًا إلى ارتباطه بالبيانات الوصفية للسجلات وأسلوب تحليل عملية العمل للسجلات، وبخاصَّة أنه يقوم بعملية الحفظ في بيئات رقمية. إضافةً إلى ذلك، هناك مجموعة من المعايير الأخرى من سلسلة ISO 30300، الَّتي تسعى أيضًا إلى القيام بدور رائد في تحسين أفضل الممارسات في الإرشادات ونظم إدارة السجلات.

C – معيار 9001:2015

يُعتبر معيار ISO 9001:2015 (من سلسلة معايير ISO 9000) الأكثر شمولًا وانتشارًا، لكونه يحدّد الجوانب المختلفة لإدارة الجودة، كما يوفّر الإرشادات للشركات والمؤسسات التي تريد التأكّد من أن منتجاتها وخدماتها تلبي بشكل

اعتمدت الريجي في العام 2015 على نظام الأرشفة Ever Suite لإدارة مخزن الوثائق والمعلومات في الإدارة وفق المواصفات الدولية لمراكز الأرشفة.

يحتّم نظام الآيزو على جميع المؤسسات، ومن بينها مراكز الأرشيف، الأخذ بمنهج الجودة في المعايير المتبعة فيها

مستمر متطلّبات العميل، وأنَّ الجودة تتحسَّن باستمرار، وهو المعيار الوحيد الذي يمكن اعتماده واستخدامه من قبل أيّ منظمة، كبيرة أو صغيرة، بغض النظر عن مجال نشاطها. في الواقع، هناك أكثر من مليون شركة ومؤسَّسة في أكثر من 170 دولة حاصلة على شهادة ISO 9001:2015.

يوصي المعنيون بأن تقوم المنظَّمة بإجراء عمليات تدقيق داخلية للتحقّق من كيفية عمل نظام إدارة الجودة الخاص بها، فقد تقرر المنظمة دعوة هيئة مستقلّة لإصدار الشهادات للتحقّق من توافقها مع المعيار، ولكن لا يوجد أيّ شرط لذلك. بدلًا من ذلك، قد تدعو عملاءها إلى تدقيق نظام الجودة وتقييم أنفسهم.

تشمل وثائق نظام إدارة الجودة المعلومات الموثّقة المطلوبة بموجب هذا المعيار الدولي، والمعلومات الموثقة التي تحدّدها المنظمة باعتبارها ضرورية لفعالية نظام إدارة الجودة. أما المعلومات الموثقة لنظام إدارة الجودة، فيمكن أن تختلف من منظمة إلى أخرى، بسبب حجم المنظّمة ونوع أنشطتها وخدماتها، أو بسبب تعقيد العمليات وتفاعلاتها أو اختصاص الأشخاص.

يعتمد هذا المعيار على مبادئ إدارة الجودة في معيار ISO 9000، والتي تتلخَّص بالتركيز على العملاء وأسلوب القيادة وإشراك الناس وصنع القرار القائم على الأدلة، إضافةً إلى إدارة العلاقات.

تطلب أنظمة إدارة الجودة من المنظّمة الاحتفاظ بالمعلومات الموثّقة بالقدر اللازم لدعم تشغيل العمليات والاحتفاظ بالمعلومات الموثقة، للتأكّد من أن العمليات يجري تنفيذها كما هو مخطّط له. لذا، فإنّ معيار ISO 9001 يتطلَّب «جودة موثقة لنظام الإدارة، وليس نظامًا للمستندات».

نظام الريجي الأرشيفيّ

إنَّ إدارة حصر التبغ والتنباك اللبنانية (الريجي) مرفق عام يخضع لوصاية وزارة المال. تُعد إدارة المؤسَّسة واحدة من أكثر الإدارات فعالية على الصعيد الوطني. تَمنح الريجي الامتيازات والتراخيص للمزارعين لممارسة زراعة التبوغ، وتُقدّم لهم الدعم والإرشاد التقنيين. كما أنّها تُشرف على أساليب الزراعة لضمان الجودة العالية والتطوّر المتواصل من مرحلة الزراعة إلى مرحلة التصنيع والتغليف والتصدير.

اعتمدت الريجي على نظام الأرشفة «Oracle» منذ العام 1935، لكنَّ العمل كان يجري من دون إجراءات مكتوبة. في العام 2015، نفَّذت الريجي مشروع التحوّل الرقمي لذاكرة الإدارة، وهو الأول من نوعه في لبنان، حيث اعتمدت على نظام الأرشفة «Ever Suite» لإدارة مخزن الوثائق والمعلومات في الإدارة وفق المواصفات الدولية لمراكز الأرشفة.

نالت الريجي شهادة معيار 9001:2015 في العام 2016 على الصناعة الوطنية التي تمرّ بكلّ الفروع، بعدما وضعت إجراءات موحّدة «M1P1-I1» لنظام الأرشفة «Ever Suite»، لتطبّق على كل المستندات الموثوقة التي يتضمّنها نظام الجودة، وذلك بهدف:

- وضع بريد الإدارة بأنواعه كافة إلكترونيًا.
- المحافظة على المعلومات الموثقة والتاريخية المتعلّقة بالإدارة.
- توفير أيّ معلومات قد تحتاجها المديريات والمصالح.
- ضمان عدم ضياع أي مستند خاص بالإدارة.
- السهولة والسرعة في استرجاع أي وثيقة.

إنَّ هذا الأرشيف موثّق بالشكلين الورقي والإلكتروني بطريقة علمية مدروسة، ووفقًا للقوانين والتشريعات في هذا الإطار، وهو يضمّ

المحفوظات الإدارية والمالية والتجارية، إلى جانب المراسلات الأساسية. يتضمَّن الأرشيف أكثر من 140 نوعًا من الوثائق والقرارات والمذكّرات والهيكلية الإدارية وغيرها، إلى جانب الوثائق الإجرائية التاريخية التي توثّق نشاط الإدارة وعملها في مراحلها كافة، ولأكثر من 50 عامًا.

تعليمات أرشيف الريجي

تعتمد الريجي منذ العام 2013 على نظام CTS لحفظ الوثائق الجارية، بحيث يعطي رقمًا تسلسليًا تلقائيًا لكل أنواع الوثائق (أكثر من 140 نوعًا)، والَّذي يسمح بوضع توصيف لكلّ نوع لتحديد قرار الحفظ والتلف. كما أنه يتم حفظ نسخة عن كلّ بريد عبر النظام أو عبر البريد الإلكتروني إلى المديرية أو المصلحة صاحبة العلاقة، ثم يقوم المؤرشفون بتحديث البيانات لكل مستند وإعادة التصحيح أو المسح عند الضرورة.

يتولّى مكتب الأرشيف مهمة متابعة عملية حفظ الأرشيف النهائي، حيث تسحب الوثائق بكلِّ أنواعها من المكاتب دوريًا، وتخضع لمسح ضوئي، ثم تُحفظ البيانات تلقائيًا في الخادم الإلكتروني.

تمرّ عملية تنظيم المخزن عبر ثلاثة أقسام، هي عملية الأرشفة، واسترجاع الملفّات، وتلف المستندات (بطريقة يدوية أو إلكترونية)، وذلك بهدف الاحتفاظ بالمستندات والوثائق التاريخية للمؤسَّسة للاسترجاع بسهولة وبطريقة منظَّمة.

ترتبط عملية الأرشفة بعدة نماذج موحّدة. أولًا، نموذج طلب الأرشفة أو استرجاع الملفات M1P1-I1-F1، ثم نموذج جردة الوثائق M1P1-I1-F2 لوضع الملفات في صناديق الأرشفة التي تحمل لاصقًا لتحديد الوصف الكامل للصندوق (رقم الصندوق، رمز الأرشيف، والسنة). وبعد نقل صناديق الأرشفة إلى مخزن الأرشيف، توضع في خزائن مرقّمة بحسب رمز المديريات ونظام إدارة المخزن Archive-RM.

يتمّ استرجاع الملفات عبر تقديم طلب M1P1-I1-F1 إلى أمين المخزن عبر البريد الإلكتروني. وبعد التأكد من صلاحيات الاطلاع، تحدّد إمكانية الاسترجاع وتصوير المستندات المطلوبة. كما تحدّد عملية التلف تبعًا لعمر الوثيقة المحددة. لذا، يقوم أمين المخزن بإجراء جردة كلّ ستة أشهر لتحديد الوثائق التي تحتاج إلى تلف. بعد الحصول على موافقة اللجنة الفنية، تعجن الوثائق في معمل تدوير الورق. ويحضر أمين المخزن محضر التلف ويوقّع عليه أصحاب العلاقة، ويتم تقديم المحضر إلى مصلحة المديرية العامة.

من مشاكل أرشيف الريجي:

- السجلات غير القابلة للترميم، بسبب نوع الورق الرقيق المستخدم وبسبب الجرذان، ما يجعل أمر الترميم صعبًا ومكلفًا.
- تكرار الواصفات، حيث إنه يتم الاعتماد على واصفات حرة للتعبير عن مواضيع الوثائق والسجلات.
- عدد العاملين الضئيل وغير المتخصّص.

ولكن في المقابل، تخضع الريجي لتدقيق داخلي (ثلاث مرات سنويًا) وتدقيق خارجي (مرة واحدة سنويًا في شهر أيلول/ سبتمبر من كل عام). لذا، فإن الريجي تعمل على التعديلات المستمرة لمعيار 9001:2015، وتسعى إلى تطبيق معيار 11799 ونيل الشهادة على مبنى مركز الأرشيف.

إنَّ مهمة الارشيف لا تتعلَّق بتجميل الحقيقة بقدر حفظها، فهل تستطيع الريجي استيفاء شروط معايير الأرشفة وإدارة السجلات الأربعة عشر؟

المراجع:

1. للمزيد من المعلومات حول المنظمة الدولية للمعايير (الآيزو)، انظر:
goo.gl/UJo8aU
2. المنظمة الدولية للمعايير (الآيزو)، معايير حفظ المستندات، انظر:
International Organization for Standardization, (2015), Information and documentation: Document storage requirements for archive and library materials = Information et documentation: prescriptions pour le stockage des documents d'archives et de bibliothèques.
3. المنظمة العالمية للمعايير (الآيزو)، نظام إدارة الجودة، انظر:
International Organization for Standardization (2015). Quality management systems - Requirement (ISO 9001:2015). Geneva: ISO Copyright office.
4. المنظمة العالمية للمعايير (الآيزو)، المعلومات والوثائق: إدارة السجلات، انظر:
International Organization for Standardization, (2015), Information and documentation: Records management.
5. للاطلاع على المزيد في الدورية العلمية المحكمة التي تعنى بمجال المكتبات والمعلومات Cybarians Journal ، انظر:
goo.gl/LBMiUG
6. للاطلاع على المزيد في مجلة الأرشيف الإلكترونية، انظر:
http://www.archimag.com/
7. للاطلاع على المواصفات في المنظمة الدولية للمعايير، انظر:
goo.gl/SEiZaN
8. للاطلاع على توجيهات المنظمة الدولية للمعايير بشأن المعلومات الموثقة، انظر:
goo.gl/wxZzhu
9. لزيارة الموقع الرسمي لإدارة حصر التبغ والتنباك اللبنانية، انظر:
http://www.rltt.com.lb/
10. للاطلاع على شهادة معيار 9001:2015 التي نالتها شركة الريجي في العام 2016، انظر:
goo.gl/fGvTqr

فرح سبيتي: أستاذة محاضرة في كلية الإعلام في الجامعة اللبنانية. تعدّ أطروحة دكتوراه في الكلية نفسها بعنوان «التكنولوجيا المساعدة في خدمات مكتبات الجامعة اللبنانية لذوي الاحتياجات البصرية».

للتواصل عبر الإيميل: farahsbeity@gmail.com



أرشيف الريجي موثّق بالشكلين الورقي والإلكتروني بطريقة علمية مدروسة

الأرشفة في البيئة الإلكترونية

زينب البزال

في كلِّ مرة نقوم فيها بكتابة بريد إلكتروني أو التقاط صورة فوتوغرافية أو تدوين محاضر اجتماعات، فإننا نقوم من حيث لا ندري بتوثيق حياتنا والعالم المحيط بنا. هذه الوثائق تشكّل المصدر الأوّلي الخام والأثر الَّذي نتركه في هذا العالم. أما الكتب التي يتم تأليفها، فهي تمثل المصدر الثانوي الذي ينتج من دراسة المصادر الأولية ومعالجتها.

تكمن مهمة الأرشيفي في تحديد أنواع التسجيلات التي يجب أن يتمّ حفظها لتوثيق الماضي، فبمجرد أن يقوم بتنظيم التسجيلات وتوصيفها، فإنَّها تصبح جزءًا من قصَّة يمكن الوصول إليها في أيٍّ وقتٍ أردنا.

أسلوب الوصف الأرشيفي

تتمّ عملية حفظ أيّ وثيقة من خلال تحديد مجموعة تعريفات تصف المادة التي نريد حفظها. يُطلق على هذه التعريفات اسم الميتاداتا أو البيانات التعريفية التي تصف تسجيلًا معينًا. تأتي أهمية الميتاداتا في أنها الوسيلة الرئيسية لجعل البحث عن المصادر الإلكترونية في شبكة الإنترنت أكثر قابليةً وإفادةً.

من جهة أخرى، تشكّل الميتاداتا مصدرًا أساسيًا لاختصاصيي المعلومات والمكتبات في بناء التسجيلات الببليوغرافية التي يعدّونها لوصف المصادر الإلكترونية في شبكة الإنترنت. مثلًا، لو أردنا وصف كتاب، فإننا نصفه من خلال مجموعة تعريفات مثل العنوان، والمؤلف، والناشر، وسنة النشر، وعدد الصفحات (كتاب «من هو البحريني؟ بناء الدولة وصراع الجماعات السياسية 1904 - 1929»، المؤلّف علي الديري، الناشر مركز أوال للدراسات، سنة النشر 2017، عدد الصفحات 372). هذه البيانات التعريفية هي التي تمكّن المستخدم من البحث واسترجاع الكتب من خلال الميتاداتا، وكذلك تمكّنه من خلال الاطلاع على الميتاداتا معرفة مطابقة الكتاب لما يريده الباحث.

إذًا، من أجل الوصول إلى كتاب معيَّن، يتمّ ذلك من خلال البحث في أيٍّ عنصر من عناصر تسجيلته الببليوغرافية

المتاحة، عن طريق الفهارس الببليوغرافية الوجودة على الإنترنت. أما عندما يتعلَّق الأمر بالأرشيف، فإنَّ العملية مختلفة قليلًا، فبعد الاطلاع على أسلوب عمل الأرشيفيين والمفاهيم والمصطلحات المستخدمة لديهم، يصبح الأمر أكثر وضوحًا، ويصبح المستخدم أكثر قدرةً على إيجاد المادة الَّتي يبحث عنها.

عندما يقوم أيّ شخص بالبحث عن الوثائق، سوف يجد نفسه في نهاية المطاف يبحث من خلال الوصف الأرشيفي (archival description)، وهو ما يُسمّى عادةً بمساعدات الإيجاد. يقوم الأرشيفي بتحويل تراكمات من الوثائق إلى مجموعات ذات فائدة. يشمل هذا العمل البحث في سياق الوثائق وفي نشاطات الأشخاص الذين أنتجوا هذه الوثائق.

يعمل الوصف الأرشيفيّ بطريقة مماثلة للفهارس المكتبيَّة، فهي تمنح توصيفًا مختصرًا لما يمكن أن يعثر عليه الباحث في مجموعة أرشيفيَّة معيّنة وما تتضمّنه من عناصر، مشكّلةً بذلك أهميَّة للمستخدم الباحث عن مجموعة أرشيفية معيّنة ولأمين الأرشيف، من خلال تنظيم محتوى المجموعات الَّتي يعمل عليها، فمن دون هذه التوصيفات لا يمكن معرفة ما يمكن أن تحتويه المجموعة الأرشيفيَّة. هذه التوصيفات تُمثل نقطة البداية للباحث. إنها المقدّمة والدليل للمجموعة الأرشيفيَّة. كما أنَّ كتابتها تتمّ من خلال اتباع معايير مختصَّة بهذا المجال، تُحدَّد عبر السنين، وليس من خلال وجهة نظر أمين الأرشيف الشخصيَّة.

يتألَّف الوصف الأرشيفي من عناصر مماثلة للوصف المستخدم لدى المكتبات، فكما تحتوي التسجيلة الببليوغرافية للكتاب معلومات عن العنوان، المؤلف، دار

عند قيام أيّ مؤسّسة في أوروبا بتزويد يوروبيانا ببياناتها المطابعة لمعيار EDM، تصبح البيانات متّصلة، ويتمكّن الباحث من إيجادها في أي مكتبة أو مؤسَّسة أرشيفيَّة من خلال بوابة واحدة.



تشكّل الميتاداتا مصدرًا أساسيًا في بناء التسجيلات الببليوغرافية لوصف المصادر الإلكترونية في شبكة الإنترنت

النشر... فإنَّ المعايير الأرشيفية تصف عددًا من المجموعات - تسمى العناصر - يحدّدها الأرشيفي في كل مستوى من المجموعة الأرشيفية.

ومن أجل خلق طريقة موحّدة لتبادل التوصيفات بين جميع المؤسَّسات المتخصّصة بالأرشيف وفهمها، كانت الاجتماعات تُعقد بين المتخصّصين بالأرشيف في مختلف الدول، من أجل الاتفاق على معيار للوصف الأرشيفي يشكّل صبغة موحّدة متفقًا عليها، تلتقي عندها جميع الآراء، وتتفق على تطبيقها على المستوى العالمي.

معيار الوصف الأرشيفي المكوَّد (EAD)

تمَّ عقد اجتماع من قبل مجموعة الأرشيفيين الأميركيين (Society of American Archivists) في العام 1993 في كاليفورنيا، بهدف إنشاء معيار موحَّد. بدأ العمل على معيار EAD DTD من خلال مشروع كان يهدف إلى دراسة إمكانية إنشاء معيار للوصف الأرشيفي يمنح الوثائق إمكانية أن تكون مقروءة آليًا.

هذه التسجيلات يمكن أن تنتج من محتويات المخازن، السجلات، والوثائق الأخرى التي تتواجد في مختلف المراكز، مثل الأرشيف والمكتبات والمتاحف أو محفوظات المخطوطات، ما يسمح بالاستفادة من هذه الوثائق بشكل أكبر. في تلك الفترة، لاحظ المسؤولون عن هذا المشروع الدور النامي للشبكات في الوصول إلى المعلومات حول المقتنيات، وكانوا حريصين على تضمينها معلومات تتجاوز ما تم توفيره بواسطة سجلات الفهرسة (MARC).

اتفق المجتمعون على استخدام لغة SGML للمعيار، لكونها تقنية قادرة على تحقيق المتطلّبات التي تم تحديدها، إضافةً إلى كونها لغة مدعومة من قبل الكثير من البرامج المتوافرة والبرامج قيد التطوير في ذلك الحين، كما أنَّها تعمل على مختلف أنظمة التشغيل.

في خريف العام 1998، تم إطلاق معيار (EAD - Encoded Archival Descriptions)، الذي ساهم في جعل المحتويات التي ذكرناها سابقًا قابلة للبحث والحفظ والتبادل. ومنذ البداية، تمَّ اعتماد هذا المعيار من قبل العديد من مؤسَّسات الأرشيف والمجموعات الخاصَّة.

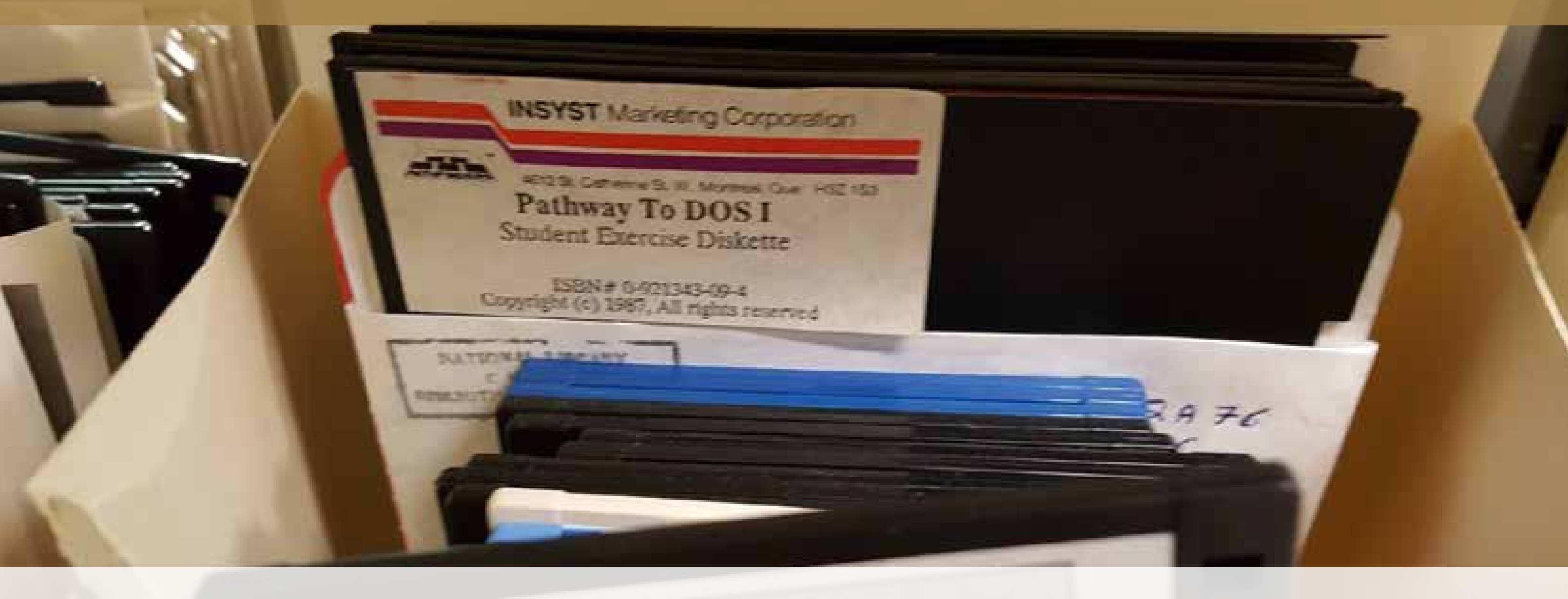
وإضافةً إلى ما قامت به مجموعة الأرشيفيين الأميركيين ومكتبة الكونغرس، قامت مجموعة المكتبات البحثية (RLG - Research Libraries Group) بتحديد مجموعة قواعد وممارسات لمعيار EAD، وذلك من أجل الحصول على نوعية معلومات أفضل. كذلك، قامت مجموعة RLG بتصميم RLG Report Card، وهو نظام مبرمج لفحص الجودة، يقوم بتحليل بيانات أرشيفية EAD، ويُنتج تقريرًا عن البيانات التي تبتعد عن معايير الجودة والممارسات المتبعة. وقد تمَّ تطوير معيار EAD في العام 2010، كما جرى آخر تعديل على هذا المعيار في آب 2015.

عناصر الوصف الأرشيفيّ المكوّد

سوف نستعرض في ما يلي بعض العناصر التي تتكون منها مساعدات الإيجاد في معيار الوصف الأرشيفي المكود:

الترويسة (Header): تشكّل الترويسة العنصر الأول في مساعدات الإيجاد في هذا المعيار، وهي تتضمن العنوان الأساسي والفرعي للمجموعة (title and subtitle)، إضافةً إلى بعض المعلومات حول عملية أرشفة هذه المجموعة، مثل الشخص الذي ألَّفها، تاريخ التأليف، الناشر، وتاريخ النشر، اللغة...

يتميَّز معيار الوصف الأرشيفي المكوَّد بإمكانية مطابقته مع معايير أخرى، فقد نجد في بعض الترويسات relatedencoding=›DC›، ما يعني أنه يمكن المطابقة بين معيار دبلن كور ومعيار الوصف الأرشيفي المكوّد، فكل عنصر من العناصر التابعة للترويسة يوازي عنصرًا في معيار دبلن كور.



أقراص مرنة من المجموعة الرقمية: "التراث المنشور" في مكتبة وأرشيف كندا Library and archives

يتمّ تحديد ذلك داخل العنصر نفسه tag. مثلًا داخل عنصر «titleproper encodinganalog=›Title› تعني أنَّ titleproper tag في معيار الوصف الأرشيفي المكوّد، تعادل «title tag» في معيار دبلن كور. تسمح هذه المطابقة بسهولة تحويل البيانات إلى معيار آخر، وبالتالي سهولة فهم البيانات وتبادلها.

عنصر Dsc: من العناصر الأساسيَّة في معيار الوصف الأرشيفي المكوَّد، وهي تحتوي على مخزون كامل عن المجموعة، مقسّم من خلال مجموعات هرمية. تحتوي هذه التاغ (tag) التقسيمات الفكرية للمادة، إضافةً إلى تفاصيل عن مكان التخزين الفعلي لهذه المواد.

نموذج يوروبيانا – نحو الويب الدّلالي

تحدَّثنا أعلاه عن أحد أهم المعايير المتّبعة في عملية حفظ الأرشيف المستخدم لدى العديد من المؤسَّسات الأرشيفيّة وفهرسته. وإضافةً إلى ذلك، تُستَخدم معايير أخرى مثل EAC-CPFDACS وغيرها.

مع الوقت، أصبحت البيانات الأرشيفية المختلفة تنتج من العديد من المصادر، ومنها المكتبات، المتاحف، ومؤسسات الأرشيف، والمؤسسات السمعية - البصرية. ومع وجود معايير متعدّدة لحفظ الميتاداتا، نجد اختلافًا في المعايير المستخدمة بين مؤسَّسة وأخرى. وفي الوقت نفسه، يحتاج المستخدم الباحث عن التراث الثقافي إلى أن يجد البيانات التي يريدها بطريقة مفيدة في مكان واحد يشتمل على ثقافات ولغات متعددة.

من أجل هذا الهدف، قامت مجموعات متخصّصة، مثل Digital Nz في نيوزيلاندا، Library and archives في كندا، وكذلك يوروبيانا (Europeana) في أوروبا بالعمل على ما يُسمى (LAM- Library Archive Museum)، أي مساحة على الويب تضُم معلومات عن وثائق من ثلاثة قطاعات: المكتبات والمتاحف والأرشيف.

وهنا، سوف نستعرض باختصار تجربة يوروبيانا في مجال اللام :(LAM)

قامت يوروبيانا بالعمل على نموذج بيانات من أجل خلق بوابة موحَّدة يمكن أن تضمّ بيانات من مؤسَّسات متعدّدة تعتمد معايير متنوّعة. من أجل هذه الغاية، تم تصميم نموذج بيانات يوروبيانا Europeana data model الَّذي يجمع التراث الثقافي الأوروبي الموزّع بين مؤسَّسات متعددة.

يعمل نموذج EDM على استخدام معايير من الويب الدلالي (Semantic web)، أي الويب الذي يعتمد على معاني الكلمات ودلالاتها، ويشكّل بذلك مساهمة مهمة ليوروبيانا في مجال الويب الدلالي، فقد تم تصميمه بالاستفادة من معيار RDF الذي هو شكل مطوَّر للغة XML، يُمكّن من تمثيل البيانات بطريقة تعطي الأشياء معنًى وترابطًا، فهو يعمل بشكل مستوى أعلى لهيكلية أنطلوجيا تتألف من عناصر مأخوذة من معايير مثل SKO7، Terms 6، Core، OAI-ORE5 Dublin، مُشَكلًا بذلك ميتاداتا مُمَثلة بطريقة غنية وعلائقية، تضفي معنًى وفائدة أكبر إلى البيانات، بحيث تصبح إمكانيات البحث والاسترجاع أقوى.

يعطي نموذج يوروبيانا قابليَّة تمثيل الأشياء بطريقة سيميائية، وإمكانية تطبيق وظائف جديدة. وبما أنَّ نسبة كبيرة من البيانات المتوقّع أن تحتويها يوروبيانا تستخدم معيار الوصف الأرشيفي المكوَّد، فإنَّ من الضَّروري استخدام وسائل تحوّل من معيار EAD – encoded archival description إلى معيار EDM – Europeana data model. إحدى هذه الوسائل برنامج mint الذي قامت يوروبيانا بتطويره لتمكين المؤسَّسات من تحويل بياناتها إلى معيار EDM.

تضمّ يوروبيانا اليوم ملايين البيانات من جميع أنواع مؤسَّسات التراث الثقافي. فعند قيام أيّ مؤسسة (مكتبة، وأرشيف، ومتحف) في أوروبا باستخدام نموذج يوروبيانا (EDM)، أي تزويد يوروبيانا ببياناتها المطابقة لمعيار EDM، تصبح البيانات متصلة ببعضها البعض، بحيث يمكن للباحث إيجاد بيانات من مكتبة أو متحف أو مؤسسة أرشيفية من خلال بوابة واحدة.

تتطوّر التكنولوجيا يومًا بعد يوم، وتتطوَّر معها معايير الفهرسة وأنظمة المعلومات والمكتبات، والتي تهدف إلى خلق بيئة معلوماتية تمكّن الأرشيفي أو المكتبي من جهة، والمستخدم الباحث من جهة ثانية، من الاستفادة من البيانات بشكل أكبر.

إنَّ هذه المعايير تتطوَّر باتجاه تأمين إمكانيات حفظ البيانات واسترجاعها بشكل أكثر تطورًا وذكاءً، وبالتالي أكثر قيمةً وفائدةً للمستخدم. لذلك، ومن أجل توفير أكبر قدر من الفائدة، يتوجَّب على المؤسَّسات المعنيَّة بحفظ التراث الثقافي أن تكون مواكبة لتطور التكنولوجيا المتعلّقة بحفظ المعلومات، لأنَّ الهدف من المعلومات ليس الحفظ فحسب، إنما الهدف هو تمكين المستخدم من الوصول إلى المعلومة بأسهل الطرق وأسرعها، وذلك لا يتم إلا عبر استخدام أنظمة مواكبة لأحدث المعايير.

زينب البزال: اختصاصيَّة في مجال البرمجة، ومبرمجة محلّلة في إدارة الإحصاء المركزي في لبنان.

للتواصل عبر الإيميل: albazzalzainab@gmail.com



جزء من المحفوظات في مكتبة وأرشيف كندا Library and archives

H.H
36178 - ل

ه

لو يخفا على جناب صديقنا

قبل هذا عرفنا عن اخبار كيد سعيد امام مسقط وكلا انكليز

و فيكلام كتا ديخ وصلوا اوادم من عند اطريق البحري

واخبرونا عن اخبار مسقط ان كيد سعيد المومى اليه

والانكليز مشو على بني بو علي وصار دهم مع المرقومة

حرب شديد وصار على الانكليز كسيرة شينه

ثم انهم عند عسكر كيد سعيد وحملوا بني بو علي

على عسكرهم وقتل خلق كثير وانكسروا الانكليز

مع عسكر كيد سعيد وكيد سعيد اصابته رصاصه

بيده ورجع عسكر الانكليز وعسكر كيد المومى اليه

الى صور ثم ارسلوا مركب الى منبي واتيه يعلم كيف

يصير وايضا مسيو بوص باليوز الانكليز الذي

جالس في بندر ابوشهر جا منه كتاب الى وكيله الذي

في ابوشهر انه توجه من منبي في ستة عشر مركب مع فتح

ماربات صغار الى طرف اليمن ويظنون هل مراكب

انا وصلت الى اليمن ويمكن يصلوا الى السويس

فاذا وصلوا الى تلك الاطراف يمكن يصيرلهم

قتله مع حضرة محمد على باشا وهكذا يظنون

[illegible] اخبار [illegible] فلم

[illegible]

يكون معلوم

وثيقة تتناول أحداثًا عسكرية بين الجيش الإنجليزي في الخليج، بالتعاون مع قوات سلطان مسقط، ضد قبيلة بني بو علي

وثيقة وحكاية

من متسلّم البصرة إلى صادق بك
حكاية صراع بين السيد سعيد وبني بوعلي في عُمان

د. محمد السلمان

وثيقتنا لهذا العدد عثمانيَّة، رغم أنَّها كُتبت باللغة العربية، وهناك العديد من الوثائق العربية ضمن مجموعات وثائق الأرشيف العثماني الضخم، كما هو الحال في وجودها ضمن مجموعات الأرشيف البريطاني. هذه الوثيقة التي جاءت في وثائق أرشيف رئاسة الوزراء العثماني، تُعتبر ذات أهميّة مضافة، وخصوصًا لمن يسعى إلى البحث في تاريخ منطقة الخليج عمومًا، وتنويع مصادره الأرشيفيَّة بين البرتغالية والإنجليزية والفارسية والفرنسية والعثمانية، بهدف مقارنتها ببعضها البعض خلال الأحداث ذاتها، ومقاربتها مع الأخبار المعاصرة لها، بغية الوصول إلى الحقيقة فيما وقع وحدث.

وتأتي الأهمية الثانية للوثائق العثمانية، كما الإنجليزية، في أنها كُتبت وأُعدَّت من قبل أفراد الجيش العثماني، سواء كانوا ضباطًا أو مفتّشين أو كتبة إداريين مكلّفين بمثل هذا العمل. لذا، نجدهم يسعون إلى تقديم تقارير صحيحة غالبًا، ذلك أنّها تمسّ أمن الدولة وخطط استمرار وجودها في محيط الصراعات والتنافس الدولي حول المنطقة وثرواتها، من طرق تجارية وزراعة ولؤلؤ وخيول ومواقع استراتيجية، بين كلّ أطراف الصراع.

الوثيقة هي رسالة موجّهة من متسلّم البصرة العثماني المدعو عبد الله بكر آغا إلى صادق بك، وتتناول أحداثًا عسكرية وقعت بين الجيش الإنجليزي في الخليج، بالتعاون مع قوات السيد سعيد سلطان مسقط، ضد قبيلة بني بو علي.

دُوِّنت الوثيقة تحت الرقم H. H. 36178-J ضمن وثائق الأرشيف العثماني الضخم في إسطنبول، الذي يعدّ ثالث أكبر أرشيف في العالم من حيث العدد الهائل من الوثائق التي يحويها، وهو يضمّ، كما يذكر سهيل صابان، حوالى 150 مليون وثيقة تتعلَّق بكل مناطق نفوذ العثمانيين في القارات الثلاث؛ آسيا وأفريقيا وأوروبا [(1)].

وقد كُتبت في فترة التنافس الإنجليزي والتركي والفارسي على السيادة والسيطرة التامّة على منطقة الخليج والساحل العُماني في النصف الأول من القرن التاسع عشر، حين كانت الدولة العثمانية تقاوم خطط الأوروبيين لإضعاف نفوذها في الأراضي العربية، سواء التي استولت عليها مسبقًا أو التي تحاول أن توجد فيها نفوذًا وقوة عسكرية فعلية جديدة لها، كما حدث في الكويت وشبه جزيرة قطر وساحل عُمان (الإمارات اليوم).

تقول الوثيقة:

«لا يخفى على جناب صديقنا

قبل هذا عرفنا عن أخبار السيد سعيد إمام مسقط والانكليز وفي حال التاريخ وصلوا وادم [وصل رجال] من علا [على] طريق البحرين واخبرونا عن أخبار مسقط أن السيد سعيد المومي إليه [المذكور] والانكليز مشوّ على بني بوعلي [هاجموهم] وصار لهم مع المرقومين حرب شديدة وصارت على الانكليز كسيرةٍ شينه [هزيمة كبيرة] ثم ألتمو عند عسكر السيد سعيد، وحملوا بني بوعلي على عسكرين [الإنجليز وإمام مسقط] وقُتل خلق كثير وانكسر الانكليز مع عسكر السيد سعيد والسيد سعيد اصابته رصاصة بيدّه ورجع عسكر الانكليز وعسكر المومي اليه الى صور ثم ارسلوا مركب الى منبي [بومبي] والله يعلم كيف يصير وايضًا مستر بروص [بروس] باليوز الانكليز الذي جالس في بندر ابوشهر، جاء منه كتاب وكيله الذي في ابوشهر انّه توجه من منبي في ستت مراكب مع فتح ماريّات صفار الى طرف اليمن ويمكن يصلون الى السويس فاذا وصلوا الى تلك الأطراف يمكن يصير لهم فتنه مع حضرة محمدعلي باشا وهكذا يظنون والله اعلم

ونحن بما يأتينا من الاخبار نعرفكم

ليكون معلوم جنابك ودم سالم».

[ختم عبد الله بكر آغا]

تعليقًا على ما ورد فيها، فإنّنا نجدها بلا تاريخ محدد، وربما فُقد منها، ولكن بتتبّع اسم المقيم السياسي البريطاني الّذي ورد فيها، وهو وليم بروس William Bruce، نستطيع أن نفترض أنها بين العام 1815 والعام 1822م، ولا يتَّضح من عنوان الوثيقة من هو صادق بك، وما هو منصبه في الدولة العثمانية، حتى يُرسل إليه متسلّم البصرة تلك الرسالة الاستخباراتية المفصّلة عما حدث على أطراف عُمان بين قبيلة بني بو علي وإمام مسقط! ولكنه لا بدَّ من أن يكون رجلًا مهمًا وله صلة بعاصمة الخلافة العثمانية. كذلك، نجد فيها بعض العبارات غير الواضحة، مثل «فتح ماريّات صفار».

أما ما ورد عن السيد سعيد، فإنه يدخل ضمن طبيعة الصراعات التي وقعت بينه وبين معظم جيرانه في سبيل تأسيس الإمبراطورية العُمانية في النصف الأول من القرن التاسع عشر. فمن المعروف عن سلطان مسقط السيد سعيد بن سلطان البوسعيدي الّذي تولّى مقاليد الحكم في العام 1806، أنَّ نفوذ عُمان اتّسع في عهده إلى أقصى مداه، حيث امتدت الإمبراطورية العُمانية من «بندر عباس» على ضفاف الساحل الشرقي للخليج، إلى ميناء «زنجبار» على الساحل الشرقي لأفريقيا، إضافةً إلى بعض الجزر الواقعة في منطقة الخليج وبحر العرب والمحيط الهندي، بما فيها أرخبيل جزر القمر.

وعن سبب وجود مفرزة إنجليزية معه في القتال الداخلي في شبه الجزيرة العربية، فنذكر في هذا السياق ظهور مصلحة مشتركة بين بريطانيا، متمثّلة في شركة الهند الشرقية البريطانية (EIC) والسيد سعيد بن سلطان. لذا، كان من مصلحة سعيد بن سلطان الاعتماد على الشركة في معاملاته معها، درءًا للأخطار التي كانت تحدق به من جيرانه القواسم على حدوده الشمالية الشرقية، والحركة الوهابية على حدوده الشمالية. كما عقد معاهدة تجارية مع بريطانيا في العام 1810م، ومعاهدتين مع الفرنسيين في العام 1810 – 1811م، وأخرى مع الحكومة الأميركية في العام 1812م.

وقد توفّي السيد سعيد بن سلطان في حدود العام 1856م، على متن سفينته أثناء رحلته من عُمان إلى «زنجبار» بالقرب من جزيرة «سيشل» التي كانت تحت سيطرته، فدُفن في «زنجبار» في المقبرة المخصّصة لدفن أولاد الأئمة البوسعيديين [2].

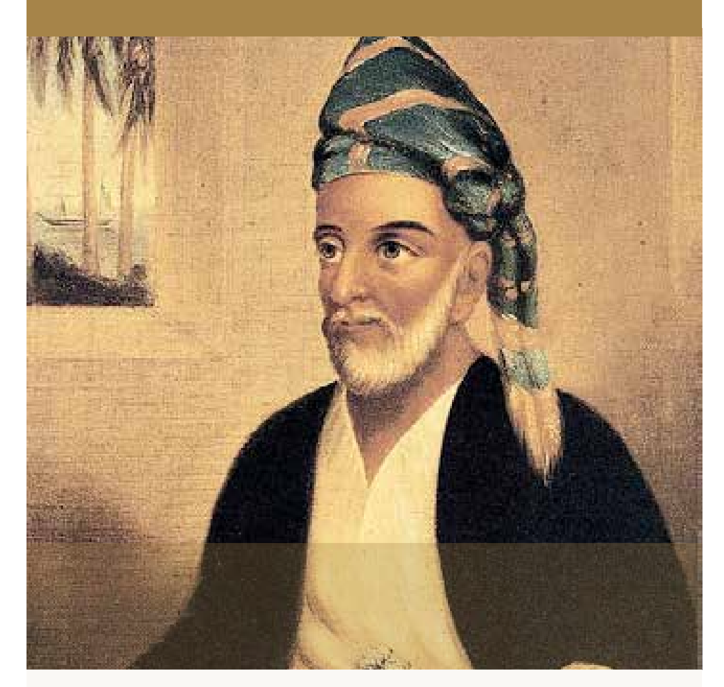
أما المسؤول الإنجليزي المذكور في الوثيقة باسم «بروص»، فهو النقيب وليم بروس، المقيم السياسي البريطاني في الخليج، كما ذكرنا، والذي تولّى منصبه بين الأعوام 1812 - 1822م، إلى أن أُزيح منه بسبب ما اعتبرته الإدارة البريطانية لمستعمرات الهند خطأً قاتلًا، عندما اعترف بتبعية البحرين لفارس، وذلك يعود إلى تاريخ التوترات في العلاقات الأنجلو - فارسية بشأن البحرين منذ العام 1820م، عندما وقَّعت بريطانيا على معاهدة الهدنة البحرية مع أسرة آل خليفة في البحرين.

هنا، اعترضت بلاد فارس على العلاقة بين بريطانيا والبحرين، وبدأت تؤكّد مجددًا مطالبتها التاريخية بالجزر. وفي العام 1822، وقّع المقيم بروس على اتفاق مع السلطات الفارسية ينصّ بوضوح على أن البحرين كانت «تابعة دائمًا لإقليم فارس».

أبرم بروس هذا الاتفاق من دون استشارة السلطات البريطانية في الهند. ولذلك، أقاله رؤساؤه في بومبي من منصبه كمقيم بريطاني فورًا.

أما قبيلة بني بوعلي المذكورة في الوثيقة، والتي ورد أنّها تغلّبت على قوّة المعسكريين الإنجليزي والعُماني، وهو حدث لافت للمراقب العسكري إذا ما قارن بين القوّة التسليحيّة التقليديّة للقبيلة، ومعسكري الإنجليز والسيد سعيد، فإنها قبيلة كانت تُقيم في منطقة استراتيجية مهمّة

تتناول الوثيقة أحداثًا عسكرية وقعت بين الجيش الإنجليزي في الخليج، بالتعاون مع قوات السيد سعيد سلطان مسقط، ضد قبيلة بني بو علي.



السيد سعيد بن سلطان البوسعيدي
سلطان مسقط (1204هـ-1273/ 1791-1856م)

في عُمان، وهي منطقة «جعلان» المشهورة بخصوبة أراضيها، وتقع في المنطقة الجنوبية الشرقية منها، وتمتاز بجودة مناخها وشجاعة رجالها، وهي تنقسم إلى قسمين، أحدهما تقطنه قبيلة بني بوعلي المذكورة بأنها سبّبت «كسيرة» للإنجليز وجيش السيد سعيد، ويقيم معها كذلك بعض القبائل الغافرية. والقسم الآخر تسكنه قبيلة بني بوحسن ومن جاورهم من القبائل الهناوية.

ومن أهمّ أسباب الصّراع بين السيد سعيد وبني بوعلي، أنّ الأخيرة اعتنقت المذهب الوهابي بعد أول غزو للوهابيين لعُمان في عهد السيد سعيد الَّذي كان يُعارض الفكر الوهابي. لذا، رفضوا الخضوع لسلطان مسقط القوي، فاستعان بالإنجليز أول الأمر لإخضاعهم، ولكنه شاهد ما حدث من تراجعهم في هذه الموقعة التي ذكرتها الوثيقة، فاعتمد على جيش عُماني صرف من رجال القبائل المعادية لبني بوعلي، وهم الهناوية. وهنا، استطاع هزيمتهم في «جعلان»، فنزلوا صاغرين تحت حكم السيد سعيد بن سلطان أخيراً.

المراجع:

1. انظر:

صابان، سهيل، الجزيرة العربية بحوث ودراسات من وثائق الأرشيف العثماني والمصادر التركية الرياض، 2005، ص 365.

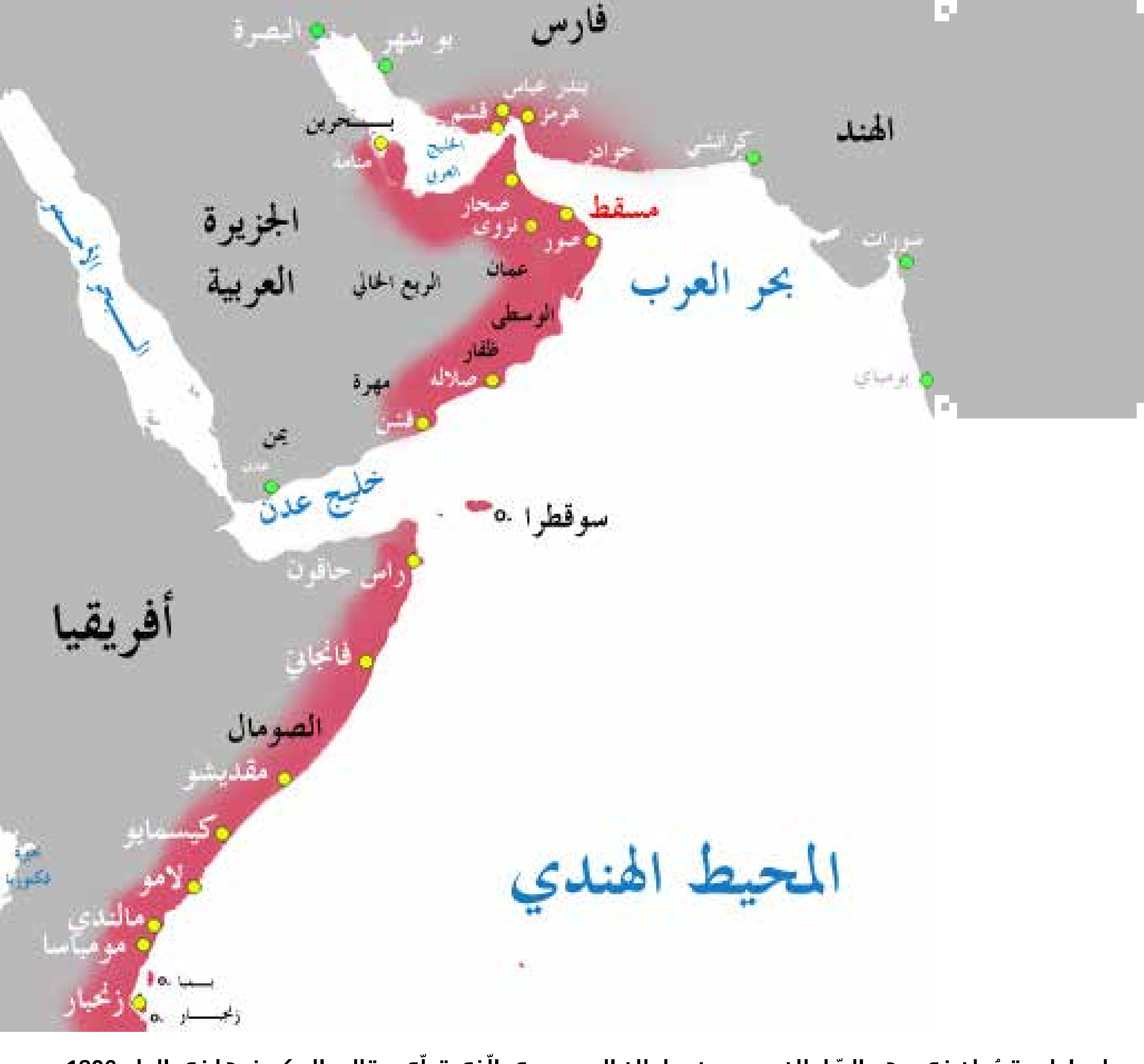
2. انظر:

أ - بن بخيت، حميد بن محمد بن رزيق، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين، تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسي عبدالله، ط 5، مسقط، 2001.

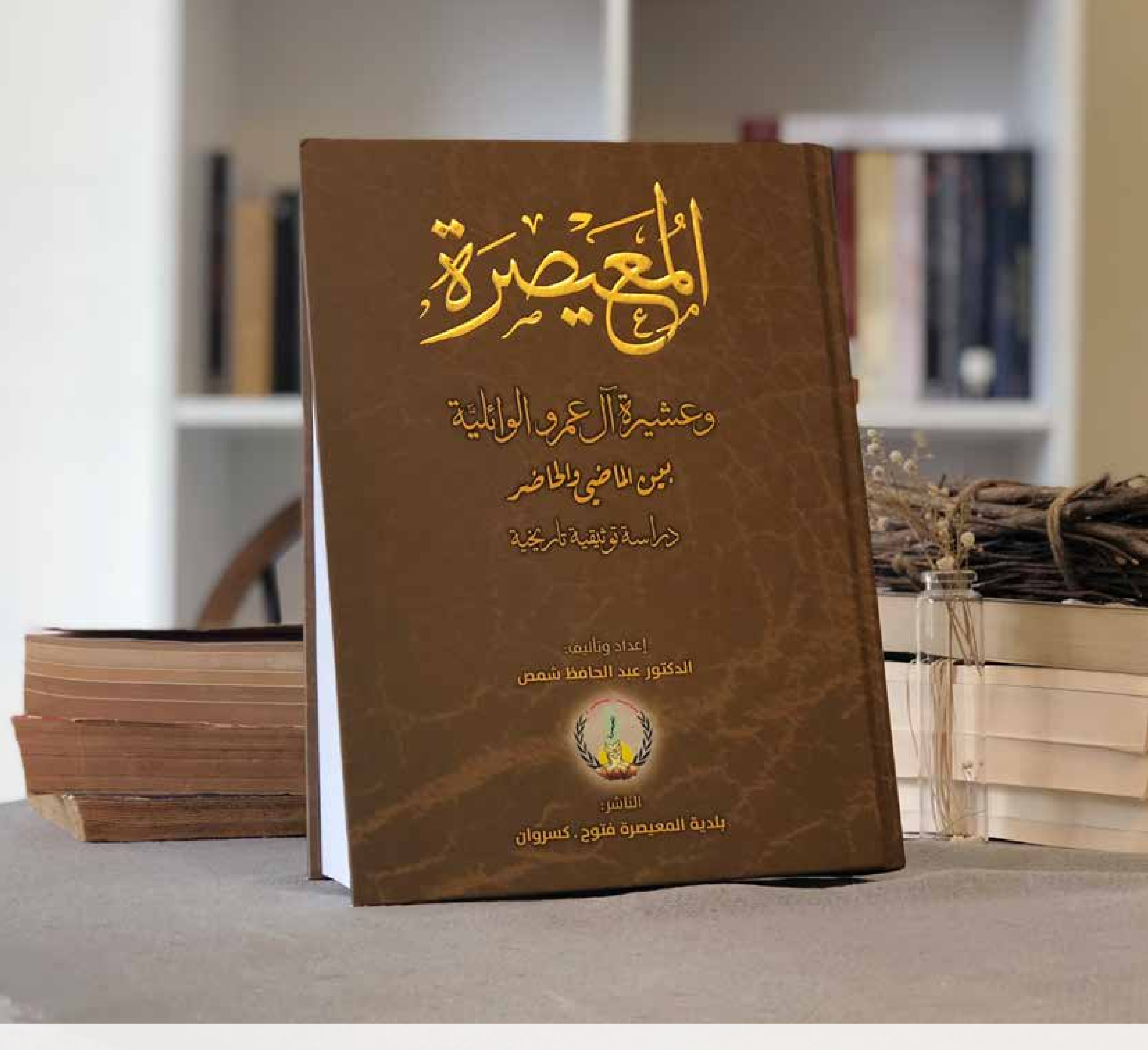
ب - السالمي، نورالدين عبدالله بن حميد، تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، مسقط، 1997.

د. محمّد السّلمان: باحث بحريني متخصّص في التاريخ. أعدّ أطروحة دكتوراه في جامعة «هال» البريطانية حول المظاهر السياسية والاقتصادية للحكم البرتغالي في الخليج. صدرت له مجموعة من الكتب التاريخية والترجمات.

للتواصل عبر الإيميل: adoommoon@gmail.com



إمبراطورية عُمان في عهد السّلطان سعيد بن سلطان البوسعيدي الّذي تولّى مقاليد الحكم فيها في العام 1806م



يقدم الكتاب مقاربة لواقع البلدة بين الماضي والحاضر، بدءًا من وصول عائلة آل عمرو إليها وحتى اليوم

ذاكرة الصورة

بلدة المعيصرة وعشيرة آل عمرو الوائلية بين الماضي والحاضر

رؤى شمس الدين

تغادر بيروت باتجاه كسروان الفتوح، فتصل إلى محاذاة مصبّ نهر إبراهيم ساحلًا. وهناك، تتَّجه يمينًا لتصل إلى قرية صغيرة تتموضع فوق هضبة مشرفة على البحر في قضاء كسروان. إنَّها بلدة المعيصرة اللبنانيَّة إحدى قرى كسروان فتوح.

اسم القرية عربي منسوب إلى معصرة صغيرة كانت موجودة فيها. قبل العام 1975، كان في المعيصرة الصغيرة بعدد سكانها وبيوتها الكبيرة بمساحتها 61 بيتًا فقط. لم تشهد البلدة بشكل عام حركة بيع للأراضي خارج إطار العائلة الكبيرة قبل الحرب اللبنانية. بل حافظت على طابعها الشيعي الخاص، باعتبار أنّ سكّانها ينتمون إلى عائلة واحدة هي آل عمرو، وتقاليدها لا تسمح بسهولة بتزاوج بناتها وأبناء معظم العائلات الشيعيَّة الأخرى، ما أبقى ملكية الأراضي محصورة داخل هذه العائلة. كما أنَّ الممارسات التي حصلت خلال تلك الحرب، لم تسبّب تهجيراً جماعيًا للسكّان، بل سببت نزوحًا لبعض العائلات لا يتجاوز عددها العشر لأسباب عقائدية أعطاها الانتماء الطائفي دافعًا أكبر.

المعيصرة التي بدأت بعدد متفاوت من البيوت، فيها اليوم أكثر من 486 وحدة سكنيَّة، ومعظم سكانها من المزارعين، بدءًا بالتوت وصناعة الحرير، مرورًا بالقمح وشتى أنواع الحبوب، وهي التي انفردت قديمًا بزراعة التبغ بين القرى المجاورة. اشتهرت المنطقة بزراعتها الكرمة والزيتون والتبغ، ثم جرى استبدال التبغ بزراعات أخرى. وفي عهد الانتداب، لم يتجدَّد في بلدة المعيصرة سوى زراعة التبغ التي حلَّت مكان التوت كليًا، إذ توقَّفت صناعة الحرير في العام 1937.

لغاية العام 1960، كان أهالي بلدة المعيصرة يعتمدون في حياتهم الاقتصادية على الزراعات البعلية التي تعتمد بشكل أساسي على مياه الأمطار، والثروة الحرجية، والمراعي الخصبة... في العام 1956، وصلتها المياه من مشروع نبع الضامن (نهر الذهب). وفي العام 1957، أنارتها الكهرباء، كما زُوِّدت في العام 1969 بشبكة مياه إضافية من مشروع نبع أفقا، وشُقَّت لها طريق وصلتها بطريق يحشوش – غباله في العام 1925م.

في كتابه «المعيصرة وعشيرة آل عمرو الوائلية بين الماضي والحاضر»، يوثق الشاعر والأديب عبد الحافظ شمص مرحلة مهمَّة من تاريخ هذه البلدة وتاريخ عائلة آل عمرو الوائلية التي تسكنها، ماضيًا وحاضرًا، للتعرّف إلى نمط حياة السكّان ومنجزاتهم ومدى تكيفهم مع محيطهم ونتائج تفاعلهم مع المتغيّرات التي طرأت على واقع حياتهم.

من خلال عدة مصادر تاريخية وأدبية وصحافية، ومن خلال عدة لقاءات ومقابلات قديمة وحديثة في أزمنة مختلفة جاوزت الأربعين مصدرًا، حاول شمص أن يقدم مقاربة لواقع البلدة بين الماضي والحاضر، بدءًا من وصول عائلة آل عمرو إليها واستقرارهم فيها وحتى اليوم.

أبرز عائلات المعيصرة عمرو، ومرعب، وأبي حيدر، وسلوم، ومرعي، وشواني، وكوسا. أصل عائلة عمرو وأبناء عمهم آل قيس وأبي حيدر ومرعب، يعود إلى ذرية الضحاك بن جندل الحمداني التغلبي الوائلي من آل ربيعة بن نزار بن وائل.

عدد سكّان القرية اليوم يقارب 4 آلاف نسمة في أيامنا، معظمهم من آل عمرو العشيرة الحمدانية الوائلية التي يعود تاريخ وجودها في جبل لبنان وفي المعيصرة إلى أكثر من 300 عام، وكان الاعتقاد السائد بأن العامل الأساس في نزوح آل عمرو من أماكن تواجدهم في جبل عامل إلى المعيصرة والهرمل ومزرعة السلوقي قرب شمسطار هو العامل السياسي والاجتماعي والأمني.

يشير شمص إلى أنَّ هذه الأسرة الشيعية كانت تسكن في أواخر القرن الثامن عشر في بلدة فتقا، وعندما أصبحت هذه البلدة بأكثريتها تحت سلطة آل حبيش وآل الدحداح، رأى هؤلاء أنَّ من الأنسب استبدال عقارات كانوا يملكونها في بقع تعرف باسم المعيصرة بعقارات بني عمرو في فتقا آنذاك وبالفعل، تمت المقايضة بين مشايخ آل حبيش وبني عمرو بوجوب الإبقاء على كنيسة كانوا قد بنوها في المعصيرة على اسم القديس يعقوب وسركيس، فانتقل بنو عمرو إلى محلة المعيصرة، واستصلحوا أراضيها وبنوها إلى أن أصبحت صالحة للسكن كما يشاؤون.

عمل بنو عمرو في بلدتهم الجديدة في تربية المواشي وفي زراعة الحنطة والتوت والكرمة ودود القز، وكانوا منذ قدومهم إلى القرية أسياد أرضهم، كما يقول المؤلّف، خلافًا للمبدأ الإقطاعي الذي كان سائدًا في قرى الجوار. وقد بقي للبلدة طابعها الاقتصادي الخاص والمتميز عن قرى الجوار عبر تاريخها. وفي عهد المتصرفية كان أمر استتباع بلدة المعيصرة إلى جبل لبنان أو حكومة طرابلس الشام مختلفًا عليه، حيث كان يجري تحصيل الضرائب المترتّبة عليها من طرف حكومة طرابلس، ولم يحلّ هذا النزاع بين حكومتي جبل لبنان وطرابلس الشام على المعيصرة قبل أن تعلن دولة لبنان الكبير في العام 1920، التي ضمَّت المنطقتين تحت حكومة واحدة.

والكلام عن عشيرة آل عمرو، يحيله المؤلف أيضًا إلى مصادر عديدة تحدَّثت عن دورهم وسيرتهم، من بينها معجم أعلام جبل عامل، و«الحلقة الضائعة من تاريخ جبل عامل» لمؤلفه علي دواد جابر، و«علماء ثغور الإسلام»، للعلامة السيد عباس الموسوي.

أما الوجود الشيعي في المنطقة، فيرويه على لسان الشيخ القاضي يوسف عمرو، أحد أبرز أعلام المنطقة، في دراسة توثيقيَّة، يقول فيها إنَّ الوجود الإسلامي الشيعي في طرابلس وبلاد جبيل والفتوح، ليس بالوجود الطارئ أو الغريب في هذه البلاد، بل هو وجود تاريخي وحضاري قديم مضى عليه أربعة عشر قرنًا منذ الفتح الإسلامي لمدينة جبيل في سنة 15 هجرية، الموافق للعام 636 ميلادية. من أيام الفاطميين،

إلى الصليبيين والمماليك، ومع أهل طليطلة الأندلسية، يظهر الشيخ يوسف عمرو أنّ «التشيع في بلاد الشام لم يكن نزوة عابرة، بل كان نتيجة جهود بعض صحابة الرسول (ص)، كأبي ذر الغفاري ومالك الأشتر، ممن شاركوا في الفتوحات الإسلامية لهذه البلاد».

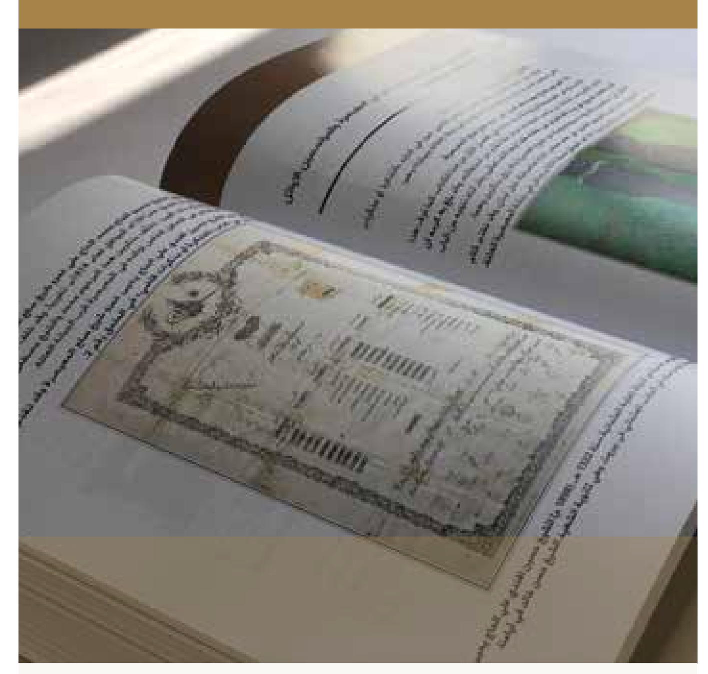
ويشير المؤلف إلى أنَّ هناك العديد من الأديرة في المنطقة التي لا تزال تحتفظ بوثائق مخطوطة، وخصوصًا في كسروان وجبيل التي تحتوي معلومات قيمة تتعلق بالمسلمين الشيعة في المنطقة، وأهمها دير مار مارون في بلدة عنايا، وهي بلدة القديس شربل، ودير البنات في جبيل، وأرشيف البطريركية المارونية ودير حبوب، وكان مركزًا للبطريركية المارونية سابقًا.

في جولة في رحاب البلدة، يعاين الزائر أماكن تراثية مختلفة فيها، فيجد كنيسة مار يعقوب وسركيس التي جرى ترميمها في أواخر القرن العشرين، وجامع المعيصرة القديم من بناء حسن بك كاظم عمرو في أيام المتصرف نعوم باشا في أواخر القرن التاسع عشر، فضلًا عن العديد من الآثار الفينيقية.

تتميز الجوامع في القرية بهندسة واحدة. ويقول مختار البلدة إن الجامع الواقع على حدود البلدة بعد الزعيترة، ساعدت الدولة العثمانية الأهالي في بنائه، وكان سطحه ترابيًا قبل أن ترممه الدولة اللبنانية.

يلفت شمص إلى أنَّ المعيصرة شهدت تطورًا عمرانيًا كبيرًا مشابهًا لما شهدته قرى المنطقة، لكنَّها اختلفت عنها من ناحيتين، الأولى هي المساهمة المتدنية للسكّان الأصليين في هذا التطور، والأخرى هي المساهمة الكبيرة للوافدين التي هي الأعلى في المنطقة. وفي أواخر العام 2002، شهدت ولادة أولى مجالسها البلديَّة.

يوثّق الأديب عبد الحافظ شمص مرحلة مهمَّة من تاريخ بلدة المعيصرة وتاريخ عائلة آل عمرو الوائلية، ماضيًا وحاضرًا، للتعرّف إلى نمط حياة السكّان ومنجزاتهم ومدى تكيفهم مع محيطهم.



شهادة بكالوريوس صادرة عن الدولة العثمانية سنة 1904م

في الكتاب أيضًا، يتحدَّث شمص عن تقاليد وعادات كانت سائدة عند آل عمرو وأنسبائهم من العائلات الوائلية في بلاد جبيل والفتوح قبل سنة 1960، بعضها اندثر، والبعض الآخر حافظ السكان عليه، وتوارثوه جيلًا بعد جيل. يروي في هذا المجال أنَّ العروس قبل تلك الأعوام كانت تمنع من رؤية العريس قبل الزواج، وكانت تزف على فرس إلى بيت الزوجية مع أحد محارمها، ولم يكن هناك مصاهرة مع أحد من خارج الشجرة الوائلية إلا مع بعض العشائر المحافظة، من مثل آل الحسيني، والمشايخ الحمادية، وآل شمص، وآل همدر.

كذلك، يقدّم الكتاب نبذة عن المعيصرة في عدد من المصادر التاريخية، مرفقة بعددٍ من الوثائق التاريخية، ويتطرَّق إلى المهن المختلفة التي زاولها أبناء القرية على امتداد سنوات، وأبرز الأحياء الموجودة فيها، فضلًا عن أبرز أعلامها وفعالياتها، والتغيرات العمرانية والاجتماعية التي طرأت عليها، مصحوبة بصور تظهر معالمها ونشاطاتها الثقافية والاجتماعية.

عن الكتاب:

اسم الكتاب: المعيصرة وعشيرة آل عمرو الوائلية بين الماضي والحاضر – دراسة توثيقية تاريخية.

إعداد وتأليف: الدكتور عبد الحافظ شمص.

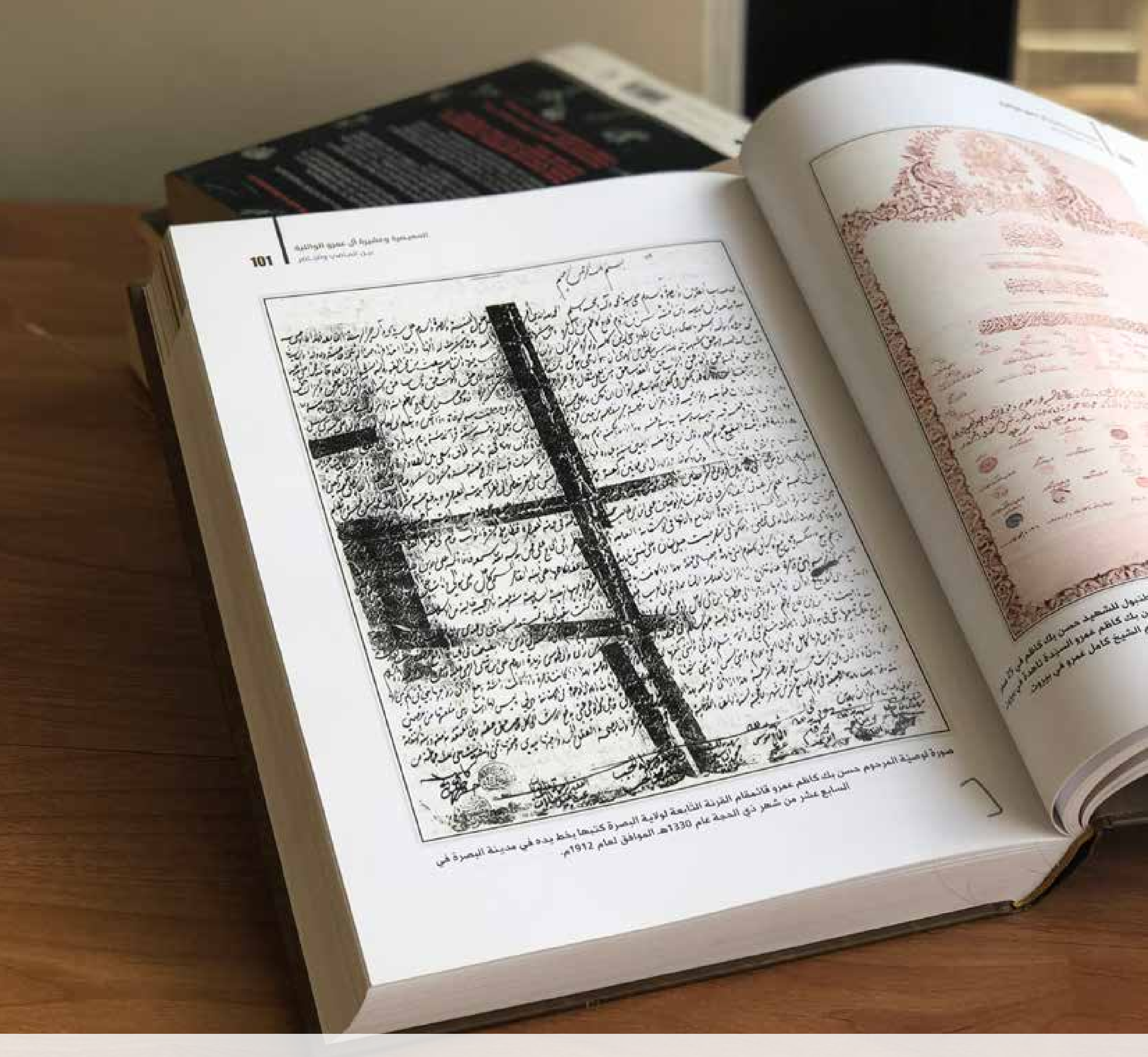
الناشر: بلدية المعيصرة فتوح – كسروان، الطبعة الأولى، 2018.

عدد الصفحات: 575 صفحة.

عن المؤلف:

عبد الحافظ شمص: شاعر وأديب وكاتب إذاعي متخصّص في الأدب العربي والتاريخ. عضو اتحاد الكتّاب اللبنانين، وعضو اتحاد الأدباء والكتّاب العرب. شارك في تأسيس عدد من المؤسسات والحركات ثقافية في لبنان. كتب أكثر من 400 نصّ غنائي مسجّل في جمعية المؤلفين والملحنين، وفي إذاعة دمشق والقاهرة وإذاعة لندن.

رؤى شمس الدين: حائزة على إجازة في الترجمة من الجامعة الإسلامية في بيروت. مترجمة من لبنان.
للتواصل عبر الإيميل: roa.shamsedine@gmail.com



وصية قائمقام القرنة التابعة لولاية البصرة حسن بك كاظم عمرو، مكتوبة بخط يده في العام 1912م

تحويطة النهر.. قريةٌ في شبه جزيرة

تغريد الزناتي

تقع منطقة تحويطة النّهر عند مدخل مدينة بيروت، وتُعتبر مفتاحًا لجبل لبنان. منذ بدء تكوينها، شكَّلت المنطقة صلة وصلٍ بين مناطق الشمال والجنوب وبيروت، ويعود السبب الرئيسي في ذلك إلى موقعها الجغرافي المميز عند مدخل العاصمة، إضافةً إلى تواجد محطّة توقّف وانطلاق للقطار فيها.

تُجاور منطقة تحويطة النهر منطقة فرن الشباك في بيروت، وهي تشبهها من حيث الهندسة المعمارية والأجواء السكنيّة، إلّا أن قصَّتها تختلف، وفيها من المميّزات الكثير مما «يُفَردِنُها».

«قطار السكّة» مرّ من هنا

تبلغ مساحة منطقة تحويطة النهر مليونًا وخمسين ألف متر مربّع (دليل المناطق العقارية، إدارة الإحصاء المركزي، 1998)، وكان ملاكها الأصليون من أمراء آل لمع وآل شهاب. ومع مرور الوقت، انتقلت الملكيَّة إلى وقف أبرشية بيروت المارونية ووقف مار نوهرا وغيرها من الأوقاف، وقام بعض الميسورين، أمثال آل تابت وآل العازوري وآل سحاب وغيرهم، بشراء الأملاك في المنطقة، كما أنَّ بعضًا من الملّاك القُدامى باعوا عقاراتهم خلال فترات الحرب والعوز والضيق، وهكذا بدأت الأراضي والعقارات تنتقل بين الناس، وتنوّع السكّان في المنطقة.

تفصل المنطقة بين فرن الشباك ونهر بيروت. ومن خلالها، كان القطار، أو «قطار السكة»، كما يحلو للسكان تسميته، يمرّ سابقًا. وعند هذه الأزقة، كان المواطنون يهرولون - منه وإليه - للتنقّل من شمال لبنان وجنوبه وإليهما، ومن سوريا وفلسطين وإليهما.

عَرفت بيروت وسائل نقل متطوّرة في القرن الماضي، ولكنّ هذه الوسائل توقّفت عن العمل، ولم يتمّ التعويض عنها

حتى اليوم. «قطار السكة» هو إحدى هذه الوسائل التي لا زال المواطنون يتحسَّرون على خسارتها إبان الحرب الأهلية اللبنانية (1975 - 1990)، ومنهم من يحلم بعودته، لما يوفّره من جهد في التنقّل والمواصلات، ولما فيه من توفير للوقت أيضًا.

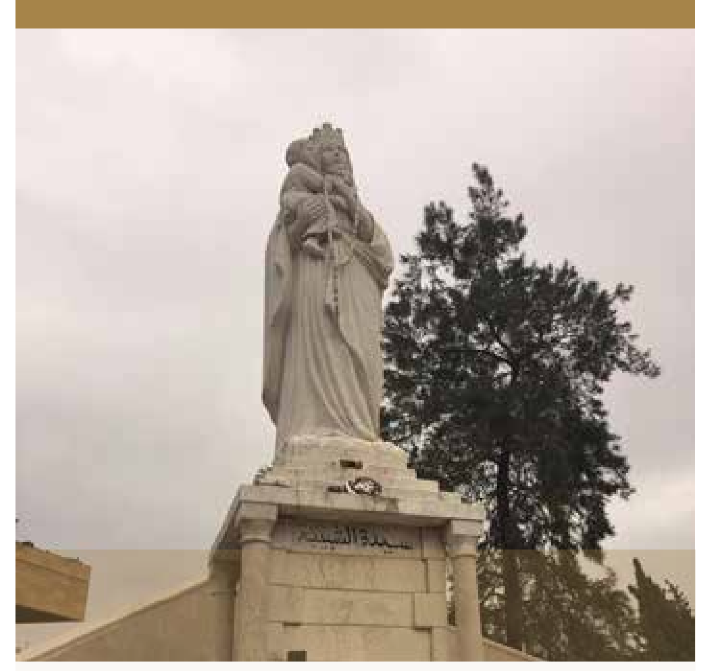
معالم من الزمن الجميل

عرفت تحويطة النهر اكتفاءً ذاتيًا. مكانتها الجغرافية أمّنت لها أرضًا زراعية خصبة. ما إن تنبّه بعض اللبنانيين إلى هذا الأمر، حتى انتقلوا إليها ليعتاشوا من المورد الأول فيها (الزراعي في حينها)، متّخذين من محيط نهر بيروت أساسًا لقيام المواسم الزراعية. بعدها، استقرّ بعضهم فيها، واستثمروا ثروة حيوانيّة كانوا يخصّصون لها الطابق الأرضي من منزلهم مسكنًا، وقاموا بهندستها بشكل موحّد يحاكي أسلوب عيشهم. والجدير بالذكر أنّ المنطقة هنا عرفت أساليب حكم متعدّدة، من بينها الحكم الإقطاعي (في القرنين السابع عشر والثامن عشر)؛ الحكم الذي كان يعتمد أساسًا على الاقتصاد الزراعي.

تنقسم المنطقة إلى أحياء خمسة: حيّ المنتزه، وحي السموط، وحي المسلخ، وحي ناضر، وحي البلحة. بالشكل، المنطقة أشبه بشبه جزيرة، يحيطها نهر بيروت من ثلاثة جوانب. ومن هنا كانت تسميتها التي تعود في الاشتقاق إلى فعل «أحاط»، أي طوّق الشيء. وهكذا، طوّقها نهر بيروت من الجهة الشمالية فالشّرقية، وصولًا إلى الجهة الجنوبية الشرقية.

تتوزَّع البيوت القديمة هنا، كما لو أنها لم تغادر ثمانينيات القرن الماضي مطلقًا. متوسّطة الحجم، وتحافظ على رونقها «الأنتيك»، بشبابيك خشبية وأبواب مرمّمة على صورتها

لا تزال بيوت تحويطة النهر تحافظ على رونقها القديم، مشكّلةً تجسيدًا صريحًا لهويّة المنطقة، ما يفتح باب السؤال عن الماضي الذي عايشته، في محاولة لرسم إطار تاريخيّ يطلق المتجوّل فيه خياله.



مزار سيدة الشبيبة في تحويطة النهر ـ فرن الشباك قرب جامعة الحكمة

الأصلية، مشكّلةً تجسيدًا صريحًا لهوية المنطقة، ما يفتح باب السؤال عن الماضي الذي عايشته، في محاولةٍ لرسم إطار تاريخيّ يطلق المتجوّل فيه خياله.

تتبع منطقة تحويطة النهر لبلدية فرن الشباك التي تُعنى بالمناطق الثلاث: فرن الشباك، - وتحويطة النهر، - وعين الرمانة. تأسف إدارة البلدية لعدم توافر صور قديمة للمنطقة، وتأمل أن تستطيع المؤسَّسات الخاصَّة القيام بمجهود لتأمين مواد مصوّرة تظهر ما كانت عليه المنطقة سابقًا. من ناحية أخرى، تسعى البلدية إلى توفير الموارد اللازمة لحماية العقارات القديمة من الزوال، كما تضيء على جمالية هذه «المعالم»، وخصوصًا مع التطور العمراني وتشابه الأبنية الحديثة التي انحرفت عن الابتكار وأضحت نُسخًا مُكرّرة.

حكايا الناس

إلياس كرم، 75 سنة، من أقدم سكان منطقة تحويطة النهر. طويل القامة ومتّزن، بشوش ومتأصّل، لم يغادر المنطقة قَط. يسكن كرم في منزل عمره أكثر من مئة عام، سكنه أهله سابقًا، وانتقل إليه بعد وفاتهما. وبين الفترتين، سكن منزلًا مجاورًا مكوّنًا فيه أسرته الصغيرة. المنزل أشبه ببيوت الضيعة. تصل إلى مدخله عبر درج صغير من بضع خطوات. ما إن تقطعها حتى تصبح في حديقة صغيرة فيها بضع أشجار مثمرة من الحمضيات وخمّ دجاج فيه دجاجات خمسٌ وديك.

تُرسل لك الشجرات نسمات منعشة، وتتمايل نحوك بظلّها فتنسيك همّ المدن. استضافنا إلياس كرم أمام شرفة المنزل التي تزيّنها تماثيل للسيدة مريم العذراء وإبريق فخار وكنبة قديمة. رائحة الحامض تفوح من الحديقة! كنا قد صادفنا السيد إلياس أمام منزله خلال قطافه الحامض في موسمه، والرائحة الزكية تنبعث من المكان.

ذكريات كرم كثيرة هنا. يحكي قصته في هذا المنزل عندما كان يافعًا، ويخبرنا عن تغيّرات في الديكور: هنا كانت «أوضة القعدة»، أي غرفة الجلوس، ولكنها أصبحت غرفةً للنوم الآن، كما أعدنا طلاء جدران المنزل، لكنها ليست سوى تفاصيل في مقابل «ما نذكره في العقل والقلب، وهي الأشياء التي لا تتغيّر».

بالنسبة إلى إلياس كرم، فإنَّ نعمة وجود عقارات قديمة هي مسألة يجب أن تحظى باحترام وعناية كبيرين. هو اليوم مسؤول عن منزلين عتيقين (منزل والديه ومنزله)، ولا ينوي التخلّي عن أيٍّ منهما، بل يحثّ من حوله من جيران على الأمر نفسه.

المنازل هذه ليست مجرد عقارات، بل هي روح المنطقة وهُويتها، وحماية هذه المعالم هي حماية للإرث الثقافي والهندسي والعمراني اللبناني.

جوزف نوهرا هو مختار عتيق في محلَّة تحويطة النهر. أصدر كتابًا يحمل عنوان «بلدتي»، يتحدث فيه بالتفاصيل عن المنطقة كلها: تاريخها، وعاداتها وتقاليدها، والحروب، والحركة التجارية، والمجتمع، والدين... وهي في الأغلب أمور مرّ عليها الزمن وتغيَّرت.

يعاني نوهرا حاليًا آثار تقدّم السن، الأمر الذي يحول دون لقائه أناسًا كثيرين من «المعجبين»، أو القيام بجهد متواصل. أما في كتابه، فلا شكّ في أنه قام بجهد لجمع المعلومات وتوثيق مراحل المنطقة بأوجهها المتعدّدة. يكتب جوزف نوهرا في «بلدتي» عن تقاليد زالت، أهمها حظر تشابك الأيدي في الأماكن العامَّة بين النساء والرجال، وتغطية شعر المرأة بمنديل فولكلوري مزركش، وارتداء الرجال القمباز والشروال ومشلحًا حريريًا. أما الأعراس، فغالبًا ما كانت مُدبّرة، أي يختار أهل الرجل زوجة من الأقارب. ومن تقاليد حفل الزفاف، أن تلبس العروس «طنطورًا»، و«تضرب» عجينة فوق مدخل الدار للحظّ الجيدّ والزواج السعيد.

أما في العادات، فيُعدّد المختار حسن الضيافة، وحبّ القريب، وقبول الغريب، والكرم، والصدق، والاستقامة، ويعتبرها من أبرز العادات التي يتميّز بها سكان المنطقة. وفي عادات الضيافة، فإن «الملبّس» يكون حاضرًا دومًا، وهو عبارة عن حبة لوز مغطاة بالشوكولا والسكر الملوّن، إضافةً إلى القضامة والصنوبر والتين المجفّف وراحة الحلقوم.

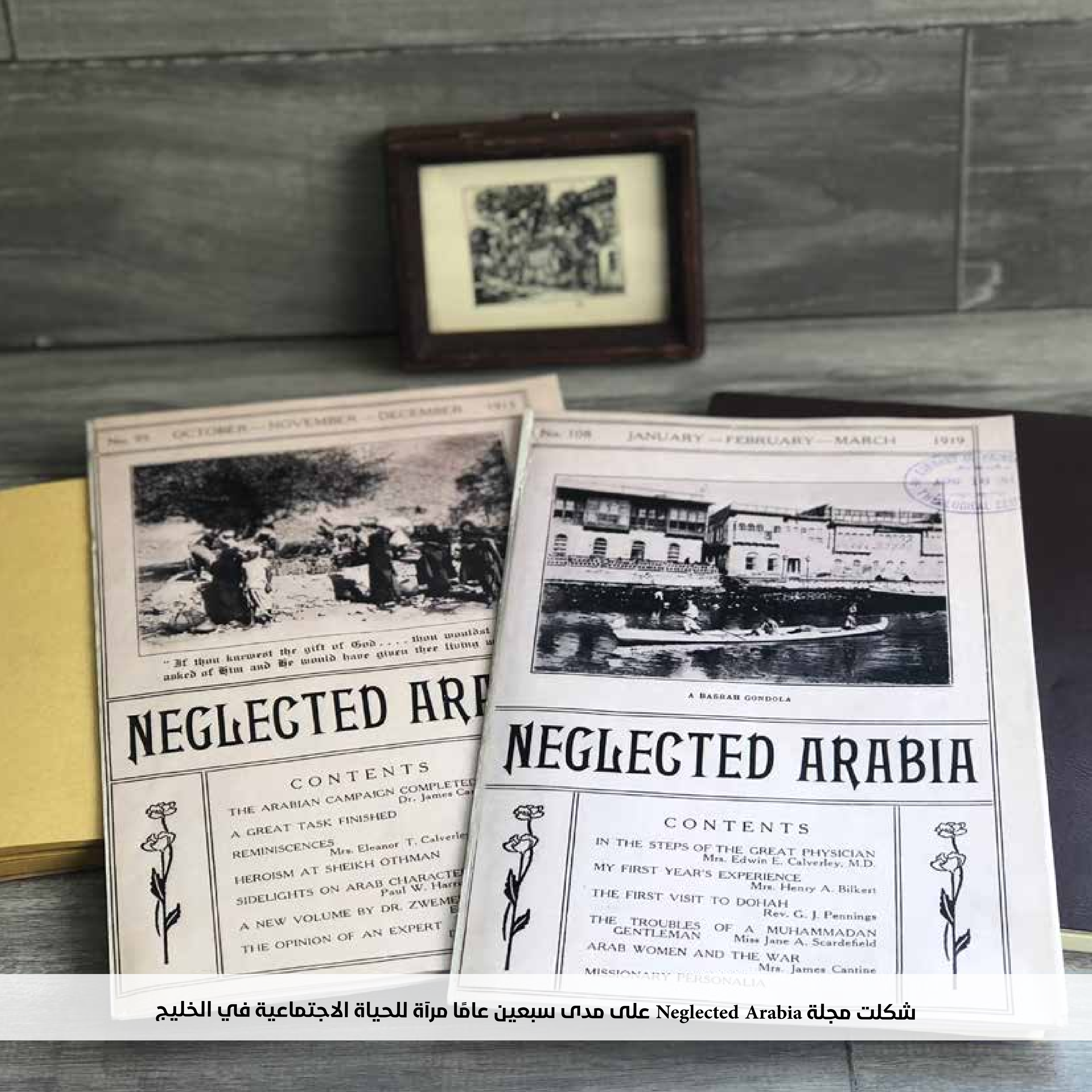
من القرية إلى العاصمة

ثقوب صغيرة في جدران الأبنية التي لم تخضع للتجميل، لتترك ذكريات الحرب في جنبات المنطقة، تدلّنا على أحداث كثيرة مرّت هنا. حكايا لم يخبرنا بها إلياس كرم ولم يذكرها المختار جوزف نوهرا في كتابه الجميل. ذكريات يتقصّد الناس نسيانها، في محاولة لطمس الأيام السوداء خلف روحهم الجميلة.

في تحويطة النهر، قرية صغيرة مخبّأة داخل صندوق كبير اسمه بيروت. في القرية هذه، زرنا منزل إلياس كرم كمن يزور بيت جدّه في أحد الأرياف الجبلية، واستذاق من زرع يده الثمر، وتنزّه بين الدواجن كطفل يكتشف الطبيعة بأبسط أشكالها.

في الطريق لمغادرة تحويطة النهر، أوتستراد وجسر ولافتة ضخمة تدلّك على اتجاه «سوق فرن الشباك التجاري»، الذي كان يُعرف بـ«بندر فرن الشباك»، وكان يضمّ خمسة دكاكين وثلاث تخاشيب. بعد تحويطة النّهر، زحمة وباعة ومبانٍ ضخمة كمن خرج لتوّه من منتجع للاستجمام نحو العالم الحقيقي الكبير.

تغريد الزناتي: حائزة على ماجستير في الإدارة والمعلومات، وتعمل في قسم أرشيف جريدة الأخبار اللبنانية منذ العام 2013.
للتواصل عبر الإيميل: taghridzinaty@hotmail.com



شكلت مجلة Neglected Arabia على مدى سبعين عامًا مرآة للحياة الاجتماعية في الخليج

كشكول

الجزيرة العربيّة المنسيّة.. أرشيف لبلاد العرب

غنى مونس

في العام 1885، شكّل الدكتور لانسنج وثلاثة من مساعديه، وهم جيمس كانتين وصمويل زويمر وفيليب فيليبس، مجموعة تبشيرية في ولاية نيوجيرسي الأميركية، هدفها نشر الدين المسيحي في بعض البلدان العربية، ومن بينها الخليج والجزيرة العربية في البداية، وعلّل المبشّر صمويل زويمر ذلك بقوله:

"إنَّ من بين الدوافع إلى العمل في المنطقة، الأسباب التاريخية، فللمسيح الحق في استرجاع الجزيرة العربية التي أكّدت الدلائل التي جُمعت لدينا في السنوات الخمسين الأخيرة، أنّ المسيحية كانت منتشرة فيها في بداية عهدها".

كانت هذه الإرسالية نواة ما أُطلِق عليه "الإرسالية الأميركية العربية"، التي كان شعارها "دعوني أحترق من أجل الرب". احتراق جسّده بعض المبشّرين الشعراء في قصائدهم، ومنهم فرانسيس تومز في قصيدته "إلى بلاد العرب"، حيث يرى فيها الأرض الموعودة:

"خلفَ شواطئِك الرملية اللينةِ

وصخورِك العارية

أرى أرضًا غنيّة

أرضيَ المَوعودةَ

إنها اختياريَ الأبديُّ

أتوقُ، أتوقُ

إليكِ، يا مُنْيَة قلبي

يا بلادَ العرب"

أكّد مبشّرو الإرساليات حقّهم في هذه الأرض الموعودة. ويقول صمويل زويمر في ذلك: "إنّ للمسيح حقًا في استرجاع الجزيرة العربية، وقد أكدت الدلائل التي جُمعت بين أيدينا في السنوات الخمسين الماضية أنَّ المسيحية كانت منتشرة في هذه البلاد في سابق عهدها، وهناك دلائل أثرية واضحة على وجود الكنيسة المسيحية هناك. ولهذا، فإن من واجبنا أن نعيد هذه المنطقة إلى أحضان المسيحية".

ولتحقيق هدفهم هذا، انطلق المبشرون من البصرة إلى موانئ الخليج والمناطق الداخلية في عُمان ومناطق أخرى من شبه الجزيرة العربية، بدءًا بمسقط ثم البحرين والإحساء والكويت.

عملت الإرساليّة على طول ساحل الخليج على تطويق شبه الجزيرة العربية، ومن ثم التغلغل داخلها، وقد أسهمت عوامل عدة في ذلك، من بينها غياب الخدمات الصحية والتعليمية، إذ كانت الإرساليات التبشيرية تحرص على تقديمها للأهالي المحتاجين. وخلال عملهم، تعلَّم المرسلون اللغة العربية، وسرعان ما اكتشفوا أن تعليمهم ووعظهم يميلان إلى إثارة الشبهات حول نشاطهم. ولكسب اهتمام السكان المحليين ودعمهم بطريقة فاعلة، لجؤوا إلى تقديم الرعاية الطبية، ثم التعليم فيما بعد.

وكانت لديهم نشرة عن تفاصيل عملهم، عُرِفَت لاحقًا بمجلة الجزيرة العربية المنسية Neglected Arabia.

أرشيف المبشّرين والمنطقة

في البدء، كانت هناك دورية فصليَّة تصدر كلّ ثلاثة أشهر. بدأ الإصدار الأول لها في الأول من كانون الثاني/ يناير من العام 1892، حين طلب الأمناء في الإرسالية تقارير فصلية دورية منتظمة من الأمين العام الميداني للإرسالية، وقد قدَّمه في المرة الأولى جايمس كانتين وصامويل زويمر وسي. إي. ريجز من البصرة.

بعدها، حملت هذه التقارير اسم "الجزيرة العربية المنسية Neglected arabia" بدءًا من العدد 132، واستمرَّ صدورها، غير أنَّ اسمها تغيّر إلى "نداء الجزيرة العربية Arabia Calling" من العدد 216 حتى العدد الأخير 250 في آذار/ مارس 1962م. وتراوح عدد صفحاتها بين أربع عشرين صفحة إلى اثنين وثلاثين صفحة (وفقًا لبعض الأعداد التي اطَّلعنا عليها بشكل عشوائي).

وثّقت المجلة أنشطة المبشّرين في الخليج العربي، وشكّلت لاحقًا مصدرًا لما دُعِي بأرشيف المبشّرين، كما كانت مصدرًا لعدد من الكتب التي وثّقت هذه المرحلة، ومن بينها "القوافل"، "صدمة الاحتكاك"، "ثرثرة فوق دجلة: حكايات التبشير المسيحي في العراق" لخالد البسام، "الحملات التنصيرية إلى عُمان" لسليمان الحسيني، و"التبشير في منطقة الخليج العربي" للدكتور عبد المالك التميمي، كما كانت هناك مذكرات للمبشرين أنفسهم، من مثل بول هاريسون وجانيت بويرسما. نشر زويمر كتاب "شبه الجزيرة العربية: مهد الإسلام"، و"العالم الإسلامي اليوم" قبل وفاته في العام 1952. أما هاريسون، فنشر في العام 1940 كتابه "طبيب في بلاد العرب"، الذي شمل جولاته الطبية في المنطقة خلال الفترة الممتدة بين الأعوام 1909-1954، في حين نشرت جانيت في العام 1991 سيرتها الذاتية الكاملة "النعمة الإلهية في الخليج"، وروت فيها تجربتها، وخصوصًا في عُمان خلال الأعوام 1950-1986.

واكبت المجلّة تحوّل المبشّرين من العمل الإرسالي الإنجيلي البحت، إلى زيادة المشاركة الاجتماعية، وتطوَّرت لتعكس اهتماماتهم الأوسع نطاقًا، وأصبحت شيئًا فشيئًا أكثر أهمية، مع عدد من المقالات التي لا تشمل فقط تفاصيل العمل المنتظم للمبشرين، بل ملاحظاتهم حول الأراضي والمجتمعات المحلية أيضًا.

كما انفردت باستطلاع الحياة الاجتماعية والسكانية والثقافية للمنطقة، وبخاصَّة حين كانت الإرسالية تقدّم خدماتها الصحية والتعليمية للأهالي، وتظلّ على اتصال معهم، وتواكب حياتهم اليومية، وتستخدم في جولات أعضائها وسائل المواصلات المتوافرة، كالحمير والجمال والمراكب الشراعية. وفي سنوات متأخّرة، استخدم بعضهم الدراجة الهوائية التي أطلق عليها بعض الأهالي مصطلح "خيل إبليس"، كما ورد في عدد من المصادر التي توثّق تلك المرحلة.

مرآة للحياة في الخليج

تمثّل مجلّة البعثة العربية (Neglected Arabia) مصدرًا غنيًا للأبحاث. وبعد أن كانت تضمّ وقائع النشاط التبشيري المسيحي - الأمر الذي شكَّل نقطة البداية - تحوَّلت لتصبح على مدى سبعين عامًا مرآة للحياة الاجتماعية والطبية والتعليمية في دول الخليج، كما أصبحت مصدرًا لا غنى عنه للتاريخ الطبّي على وجه الخصوص، وتضمّنت معلومات واسعة عن بعض الأمراض وطرق العلاج، وكانت غالبية موادها عبارة عن تقارير المبشرين الذين عملوا في الإرساليات، نذكر منهم على سبيل المثال:

1. **جانيت بويرسما:** كانت ممرّضة مبشّرة في عُمان خلال الفترة الممتدة بين 1950-1986، وكانت تُعرف محليًا

وثّقت المجلة أنشطة المبشّرين في الخليج العربي، وشكّلت لاحقًا مصدرًا دُعِي بأرشيف المبشّرين، كما كانت مصدرًا لعدد من الكتب التي وثّقت هذه المرحلة.



انفردت مجلة البعثة العربية باستطلاع الحياة الاجتماعية والسكانية والثقافية لمنطقة الخليج

باسم خاتون نعيمة، وقد ظهر بعض يومياتها في مجلة الإرسالية Arabia Calling.

2. **صمويل مارينوس زويمر (1867-1952):** هو الشخصية الأكثر بروزًا بين أفراد الإرسالية العربيَّة، لأسفاره ومنشوراته.

3. **جايمس كانتين (1861-1940):** هو الرائد الثاني، بعد صمويل زويمر، في تأسيس الإرسالية العربية. تتوافر يومياته وتقاريره عن عُمان في أعداد متفرقة من المجلَّة، وقد طُبع النعي الذي تلي في جنازته في شهر تموز/ يوليو 1940، في كتيب تذكاري ظهر في المجلد السابع من المجلة.

4. **وليم هارولد ستورم:** طبيب مبشّر عمل في عُمان خلال الفترة الممتدة بين الأعوام 1930-1933. وخلال هذه السنوات، سافر على نطاق واسع إلى عدة مناطق من عُمان، بما في ذلك الرستاق، والجبل الأخضر، وجعلان، وصور، وظفار، وعمل في وقت لاحق في الكويت والبحرين حتى تقاعده في العام 1960. وقد نُشِرت قصص رحلاته في المجلة.

تقارير المجلة الفصلية

بالاطّلاع على أقدم عدد استطعنا الحصول عليه من المجلة، وهو العدد الثالث والثلاثون، الذي يرد تحت عنوان "تقارير فصلية ميدانية"، وجدنا أنه مؤلّف من 24 صفحةً.

في الصفحة الأولى منه عنوان المجلة: The Arabian Mission: Quarterly Letters from the Field"، وتحتها صورة فوتوغرافية لثلاثة رجال يركبون الجمال في الصحراء، ويليها ترتيب العدد (number thirty three) والتاريخ (January to March, 1900)، إضافةً إلى الفهرس.

في الصّفحة الثانية، نجد هيكلية الإرسالية العربية: تعداد الأمناء والقساوسة للعامين 1899-1900، إضافةً إلى الأمناء والمبشرين. وفي آخر الصفحة، طلب بتحويل التبرعات أو الأسئلة إلى عنوان الإرسالية العربية في مدينة نيويورك.

فيما يتعلَّق بالمقالات، فقد وردت من دون ترتيب خاص، وتضمن العدد تقارير حملت العناوين التالية: مسقط ("جدل مع يهودي"، "مشاكل مع المسلمين"، "مبيعات جيدة"، "ميدان مفتوح"...) للقس جايمس كانتين، "التجارب الأولى مع اللغة العربية"، "صعوبات قواعد اللغة العربية" للقس إتش جي ويرسوم، البصرة ("اجتماعنا السنوي"، "أسبوع من الصلاة"، "العمل الروتيني لبعثة تبشيرية"...) للقس إف جي بارني، البحرين ("منزل جديد في البحرين"، "مجموعة جديدة من الذخيرة"...) للقس صمويل زويمر، وتضمَّنت بعض المقالات صورًا فوتوغرافية.

شملت الأعداد الأولى من المجلَّة مقالات عن العمل الإنجيلي، الجولات، الكتاب المقدس، العمل والمبيعات، العمل الطبي، التوصيات (لتحسين التدريس على سبيل المثال)، الظروف الميدانية، والعمل لصالح المرأة.

وقد تضمَّنت النّشرة أيضًا في مختلف أعدادها صورًا ورسومًا توضيحيَّة تظهر الاهتمام التاريخيّ للبعثة، ومنها خارطة البحرين في العام 1898، خريطة مبدئيّة لسلطنة عُمان في العام 1903، بعثات قديمة وجديدة في مسقط في العامين 1897 و1903، مستشفى البحرين في العام 1902، صورة للشيخ مبارك من الكويت في العام 1903، ديباز بازار في العام 1908، والعمليات العسكريَّة شمال البصرة في العام 1916.

على سبيل المثال، تضمَّنت بعض الأعداد إحصائيات الحالات المرضية التي لوحِظت، إضافةً إلى بعض التحليلات. وكان يتمّ ذكر عدد المرضى، حالات مرض العين، أمراض الأذن لدى غواصي اللؤلؤ، القابلية للإصابة بمرض السلّ، رعاية الأسنان، الكسور، الجروح الناجمة عن طلقات نارية، الهوس الحاد، والالتهاب الرئوي.

وتضمّن عددٌ صادر في العام 1893 بيان عمل المستوصف في البحرين، مع متوسط عدد المرضى، وأعداد الذين يتلقّون العلاج، إضافةً إلى المال، الخبز، الدجاج، البيض، البط والأسماك. وقد تمَّ الإبلاغ عن وباء الكوليرا في العام 1893 في البصرة والبحرين، وتمَّ تقدير حصول 5000 حالة وفاة في البحرين، بما في ذلك 60 وفاة في منزل الشيخ عيسى وحده، ومن بينهم ابنه.

ومع مرور الأعوام، كان يتمّ تسجيل بناء المستشفيات الحديثة المجهّزة بالكامل وتشغيلها، وكان ينظر إلى البعثة العربية على أنها المصدر الرئيسي أو حتى الوحيد للرعاية الطبية.

وحوت هذه المجلات أيضًا عددًا من المقالات المتنوعة في الشؤون الاجتماعية والإقليمية، وتعتبر بالنسبة إلى الغرب جديرة بالملاحظة، وبشكل خاصّ فيما يتعلّق بأوضاع المرأة المسلمة، حيث استطاعت النساء في البعثة معالجة النساء وتقديم تقارير منتظمة. وبحلول ثلاثينيات القرن العشرين، نُشرت تقارير منتظمة عن النساء ومدارس البنات في البصرة والكويت والبحرين.

وعلى المستوى التاريخي، سلَّطت المجلَّة الضوء على تطور العلاقة بين المحطات التبشيرية والمجتمعات المحلية، وخصوصًا بين البعثة والحكام. وورد في أحد الأعداد: "في العام 1903، أعطى السلطان قطعة من الأرض في مسقط لتوسيع الحديقة"، وهو تكريم غير عادي، لأنه "يلاحظ أنه معاكس جدًا للأجانب الذين يحصلون على أيّ قبض إضافي في بلاده". وفي عدد آخر، يشير إلى أنَّ الشيخ مبارك، من الكويت، منح الأرض لمنزل البعثة. كما تحتوي هذه المجلات أكثر من تقرير عن الاجتماعات مع ابن سعود، وجاء في أحد الأعداد في العام 1915: "هنا رجل يمكن أن أثق به".

المجلة في أرشيف جامعة كامبريدج

أعادت إصدارات جامعة كامبريدج طباعة هذه الأعداد الممتدة بين الأعوام 1892-1962، ونشرتها في ثمانية مجلدات وفقًا للترتيب التالي:

- المجلد الأول: من العدد 1 إلى العدد 40: تقارير ميدانية 1892-1898/ رسائل فصلية 1898–1901.
- المجلد الثاني: من العدد 41 حتى العدد 71 (1902-1909).
- المجلد الثالث: من العدد 72 حتى العدد 103 (1910-1917).
- المجلد الرابع: من العدد 104 حتى العدد 131 (1918-1924).
- المجلد الخامس: من العدد 132 حتى العدد 155 - الجزيرة العربية المنسيّة - (1925-1930).
- المجلد السادس: من العدد 156 حتى العدد 186 – الجزيرة العربية المنسية - (1931-1939).
- المجلد السابع: من العدد 187 حتى العدد 215 - الجزيرة العربية المنسية - (1939-1941).
- المجلد الثامن: من العدد 216 حتى العدد 250 - نداء الجزيرة العربية - (1949-1962).

واستندت الهيئة المسؤولة عن إعادة الطبع إلى النسخات الأصلية للمجلة، الموجودة في مكتبة غاردنر أ. ساج (The Gardner A. Sage Library) التابعة للكنيسة الإصلاحية في نيوجيرسي في الولايات المتحدة الأميركية.

يمكننا القول إنّ مجلة "الجزيرة العربية المنسية" اشتملت بشكل خاص على الخطاب الديني المتراكم حول المنطقة، والذي نجحت في خلقه الإرساليات. وبالرجوع إليها، يمكننا الاطلاع على الأنشطة التنصيرية التي تنوعت بين العمل الطبي والرحلات وبيع الكتب المقدسة والتدريس والتبشير في الأسواق والتجمعات العامة، ويرد



رسالة "رأي خبير"، الواردة في العدد 95 من مجلة الجزيرة العربية المنسية Neglected Arabia

ذلك في غالبية مواضيعها. ففي العدد 95 من المجلة، وردت رسالة تحمل عنوان "رأي خبير"، وهي موجّهة من السيد دي آي بيرسون إلى المحترم السيد كالفيرلي، يعرب له فيها عن مدى سعادته باستلامه رسالته التي أرسلها في 10 آب/ أغسطس، ويشير إلى أنه ما يزال يذكر حديثهما عن الجزيرة العربية، ويؤكد السيد بيرسون أنه يرى أن "الجزيرة العربية تشكل الميدان الأصعب الذي تعمل فيه البعثات البروتستانتية"، مضيفًا أن "الحرارة الشديدة، والأسلوب البدائي في العيش، وصعوبات السفر، وبعد المسافة عن قاعدة الإمدادات، وتعصّب الشعوب وجهلها، وحقيقة أن البلاد خاضعة لسلطة حكّام قبليين، لا لحكومات متحضّرة، تشكّل جميعها عوائق في وجه حرية الوعظ بإنجيل المسيح".

ويختم بيرسون بالقول: "نظرًا إلى هذه العوائق، فإنَّ تقدم البعثة العربية في السنوات الخمس والعشرين الماضية جدير بالملاحظة، وبطولات الرجال والنساء الذين ذهبوا إلى هذا الميدان هي مصدر إلهام للمسيحيين في الوطن".

جدير بالذكر أنَّ هذه الرسالة، من بين رسائل ومقالات عدة، غيض من فيض، وهي تدلّ على الدّور الذي أدّته هذه الإرساليات في البلاد العربية. وتضمّ مجلّة الجزيرة العربية المنسية الكثير من المقالات والرسائل المشابهة. ومهما اختلفت وجهات النظر والتأويلات حولها، فستظلّ أرشيفًا قيمًا يضمّ في طيّاته جزءًا كبيرًا من تاريخ الجزيرة العربية.

المراجع:

1. صمويل مارينوس زويمر(1867-1952): هو الشخصية الأكثر بروزًا بين أفراد الإرسالية العربية. يُعَد من أهم المنصّرين وأخطرهم في العالم الإسلامي بشكل عام، والجزيرة العربية على وجه الخصوص. كان كاتبًا غزير الإنتاج، له أكثر من أربعين مؤلفًا، إضافةً إلى مقالاته. أسَّس الإرسالية العربية في البصرة في العام 1891م، ثم افتتح الفرع الثاني لها في البحرين في نهاية العام 1892م، والفرع الثالث في مسقط في العام 1893م. كما أسس مجلة العالم الإسلامي باللغة الإنجليزية، وقد صدر العدد الأول منها في العام 1911م، وعقد المؤتمرات التنصيرية، ومن أهمها مؤتمر القاهرة، الذي عُقِد في العام 1906م، ومؤتمر إدنبرة في العام 1910م.
2. خالد البسام، صدمة الاحتكاك: حكايات الإرسالية الأميركية في الخليج والجزيرة العربية 1892-1925م، دار الساقي، بيروت.
3. للمزيد من القصائد، انظر "ترانيم تبشيرية في الخليج العربي":

https://bit.ly/2tkwef4

4. خالد البسام، ثرثرة فوق دجلة: حكايات التبشير المسيحي في العراق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، 2004م.
5. تمت أرشفة مجموعة كبيرة من أعداد مجلة الجزيرة العربية المنسية على موقع Archive.org في العام 2015م. للاطلاع عليها أو تحميلها، انظر:

goo.gl/MKnAr1

6. لتحميل العدد 33 من مجلة الجزيرة العربية المنسية Neglected Arabia، انظر:

https://goo.gl/3UDXSs

7. للاطلاع على مجلة الجزيرة العربية المنسية Neglected Arabia في إصدارات جامعة كامبريدج، انظر:

goo.gl/EiJDFa

8. "رأي خبير"، مجلة الجزيرة العربية المنسية Neglected Arabia، عدد رقم 95، للاطلاع على المقال، انظر:

"The Opinion of An Expert", Neglected Arabia, N 95, October- November-December 1915, p. 24

غنى مونّس: باحثة ومترجمة وأستاذة جامعية من لبنان، تعمل أيضًا في مجال الصّحافة الإلكترونية. تعدّ رسالة ماجستير في الإعلام والتواصل في الجامعة اليسوعيّة في بيروت.
للتواصل عبر الإيميل: ghina.mouaness@gmail.com

الغجر في البحرين
تاريخ من لا تاريخ لهم

يوسف أحمد مكي

بحكم الطّبيعة الجُزريّة المفتوحة، كانت البحرين دائمًا ملاذًا ملائمًا ومستمرًا لكثير من الهجرات البشرية للعديد من الأقوام والإثنيات والأعراق والملل والنحل على امتداد التاريخ القديم، مرورًا بالوسيط، وحتى العصر الحديث، ومن مختلف الجهات.

وفي حين أنَّ التاريخ الاجتماعي لبعض المجموعات التي جاءت إلى البحرين، قديمًا أو حديثًا، وبخاصَّة المجموعات الكبيرة، بات معروفًا، ولا يضيرها أن تعترف بماضيها وأصولها، نجد في المقابل إهمالًا تامًا للمجموعات البشرية الصغيرة، وهي تكاد لا تُعرف من قبل المهتمّين بالشأن الاجتماعي والإثنولوجي، ناهيك بجهل المجتمع بوجودها بوجه عام. كما أنَّها بحكم صغر حجمها، تتردّد في الإشارة إلى أصولها الإثنية أو أصولها الحقيقية أو تاريخها الخاص.

من بين المجموعات الإثنية التي أهملها التاريخ أو المجتمع في البحرين، أو أدخلها ضمن مجموعات بشرية قريبة منها من حيث الأصول، مجموعة الغجر، حيث كانت البحرين إحدى مناطق الهجرة لبعض قبائل الغجر من المناطق المجاورة.

لا شكَّ في أنَّ هذه المجموعة اندمجت في المجتمع البحريني، وربما انتسبت إلى مجموعات عرقيَّة أخرى أكبر منها، ولم يعد يوجد ما يشير إلى أصولها البعيدة أو ما تتميَّز به عادةً في مناطقها الأصلية أو مناطق هجرتها، من تراث وفولكلور وتقاليد، لكن ذلك لا يلغي خلفيّاتها التاريخيّة.

إذًا، من أين جاء الغجر إلى البحرين؟

للإجابة عن ذلك، نقول إنّه لا يوجد تاريخ محدّد بدقّة لمجيء الغجر إلى البحرين، لكنهم كانوا دائمًا موجودين بشكل أو بآخر، إلا أنَّ آخر هجرة لهم فيما يبدو كانت مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ولكن هجرتهم بدأت تزداد وتيرتها

في نهاية العشرينيات وبداية الثلاثينيات من القرن الماضي، وخصوصًا بعد اكتشاف النفط، وكانت هجرتهم على شكل أفراد أو أسر صغيرة أو ممتدّة، وذلك بحثًا عن الرزق الَّذي بدأ يأتي ثماره مع ثروة النفط منذ بداية الثلاثينيات، وفي غالبيّتهم استقروا في المدينتين الكبيرتين المنامة والمحرق، وإلى حدٍّ ما في المناطق المحاذية لهما.

أما المناطق التي جاءوا منها إلى البحرين، فيمكن الإشارة إلى ثلاث مناطق: أوَّلها إيران أو الساحل الشرقي للخليج ومن بلوشستان، والقادمون من هذا المصدر يمثّلون أكثرية الغجر. والثانية من العراق، وبخاصَّة البصرة، والثالثة من الشام عبر السعودية.

ومنذ هجرتهم الأخيرة إلى البحرين، لم يُعرف الغجر في الثقافة المحليَّة بهذا الاسم، بل عُرفوا بأسماء أخرى مثل: الشراشنة أو "الشناشنة". وفي تسمية أخرى "الكواولة"، وفي أحيان "هواجر"، أي مترحّلين، بسبب رغبتهم الدائمة في الترحال والهجرة وعدم الاستقرار.

ويمكن القول إنَّ الغجر ظلّوا في حالة تجوال دائم في مختلف مناطق البحرين حتى نهاية الخمسينيات من القرن الماضي، حيث كانوا يمكثون في منطقة، ثم لا يلبثون أن يغادروها إلى أخرى. وعلى شكل جماعات، كانوا يجوبون القرى، ويصطحبون معهم أطفالهم ونساءهم ومتاعهم، وينامون حيث ينال منهم التعب والإرهاق. وقد عُرفوا في القرى التي يتجوَّلون فيها بسم الكواولة أو المعادنة، ربما لقرب تقاليدهم وسلوكهم من المعدان في العراق.

شيئًا فشيئًا، أخذ يستقرّ بهم المقام، وبدأوا يمتهنون بعض المهن التي لا تتطلَّب مهارات صعبة ولكنها تتطلَّب تجوالًا

ظلَّ الغجر في حالة تجوال دائم في مختلف مناطق البحرين حتى نهاية الخمسينيات من القرن الماضي، حيث كانوا يمكثون في منطقة، ثم لا يلبثون أن يغادروها إلى أخرى.

صورة أرشيفية لجماعات الغجر المنتشرة في العديد من الدول - شبكة الإنترنت

ومن بين المهن التي امتهنها الغجر، ما يعرف بـ "زري عتيق"، كما عملوا كبائعي خردوات متجولين، وبخاصّة الرجال منهم. أما بالنسبة إلى النساء، فيُعرفن ببائعات "الهجوم مجوم"، أي الخردوات الخاصَّة بالنساء واحتياجاتهنَّ، إضافةً إلى العمل في الأعمال الدنيا، مثل تنظيف الشوارع وكنسها ورفع القمامة وبعض الأعمال الدونية.

في نهاية عقد الستينيات من القرن الماضي وبداية السبعينيات، استقرَّ الغجر نهائيًا في المنامة والمحرق، واندمجوا في المجتمع، مع المحافظة على الزواج الداخلي فيما بينهم. ومن أجل التكيّف مع حياة الاستقرار، اتَّخذ العديد منهم ألقابًا بعضها ذو طابع مهني أو عائلي، لإخفاء الأصول ذات المنبت الغجري، وبعضهم لم يعبأوا بالألقاب، وظلّوا على أسمائهم المجرّدة من الألقاب والنسب.

ويمكن القول إنَّ الغجر أو الشراشنة مرّوا منذ آخر هجرة لهم بأربعة أجيال: الجيل الأول المؤسّس الذي توزع بين الحلّ والترحال، ثم الجيل الثاني الذي عاش بين الماضي والحاضر، ثم الجيل الثالث الذي عقد العزم على الاستقرار والاندماج في المجتمع. وأخيرًا، الجيل الرابع الذي لم يعد يعرف عن ماضيه شيئًا سوى ذكرى ضبابيَّة لا تنفعه في حاضره شيئًا، وأنَّ البحرين هي موطنه الأول والأخير.

وبمرور الوقت، لم يعد الغجري غجريًا، بل أصبح مواطنًا بإمكانه أن ينعم بما يقدّمه الوطن لأبنائه، بغض النظر عن انتماءاتهم وأصولهم. وإذا كان هناك من تراث غجري ما زال باقيًا، فقد تأثّر بشكل كبير بالبيئة البحرينيَّة، وبات جزءًا لا يتجزأ من فلكلور البحرين.

أردنا بهذه الملاحظات أن نسلّط بعض الضَّوء على إحدى المجموعات البشرية التي يتكوَّن منها النسيج المجتمعي في البحرين، والتي لم تحظَ باهتمام الباحثين الاجتماعيين والأنثروبولوجيين والمؤرخين. هي ملاحظات لا تغني عن البحث المتخصّص في سوسيولوجيا الغجر وتاريخهم. نحن هنا، نفتح الباب مجازًا لمزيد من البحث والتنقيب، على أمل أن تسنح لنا الفرصة لتسليط الضوء على مجموعة بشرية أخرى في بلادنا ربما تكون قد ظلمها التاريخ أو سكت عنها لأسباب كثيرة.

يوسف أحمد مكي: كاتب وباحث سوسيولوجي بحريني. أصدر عددًا من الأبحاث والدراسات المتعلقة بالشأن البحريني، وكتب في عددٍ من الصحف البحرينيّة والعربيّة.
للتواصل عبر الإيميل: yam581@hotmail.com



صورة أرشيفية لجماعات الغجر المنتشرة في العديد من الدول - شبكة الإنترنت



"أوال" يقدم الأعداد التسعة الصادرة من "أرشيفو" هدية في اليوم العالمي للأرشيف

متابعات

مركز أوال يطلق مدوَّنة أرشيفو ضمن فعالياته في اليوم العالمي للأرشيف

أطلق مركز أوال للدراسات والتوثيق مدوَّنة "أرشيفو"، احتفاءً باليوم العالمي للأرشيف الذي يصادف في التاسع من حزيران / يونيو.

المدوّنة جاءت نتيجة الجهد الَّذي تم بذله على مدى عامين لإنجاز تسعة أعداد من "أرشيفو"، تتضمَّن المقالات والمواد والصور المنشورة في النسخة الورقيَّة من المجلة، وهي متوافرة بصيغة نصيَّة أو PDF، كما أنّ أعداد المجلّة كلها متوافرة بشكل كامل بصيغة pdf أيضًا.

وجاء إطلاق هذه المدوَّنة وسط مجموعة من الفعاليات، من بينها فتح أبواب المركز للزوار والمهتمين، والمشاركة على مدى يومين في الفعاليات التي نظَّمتها المؤسَّسات المنضوية تحت "مرصد التراث الحديث" MOHO"، وهي "المركز العربي للعمارة"، "المؤسَّسة العربية للصورة"، و"مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت"، و"مؤسسة التوثيق والبحث في الموسيقى العربية"، و"بيت بيروت"، و"متحف سرسق"، و"أمم للتوثيق والأبحاث".

هذه الفعاليات التي تنوَّع مضمونها بين الوثائق المكتوبة والتاريخ الشفاهي والسينما والفن والتصوير والعمارة، حملت رسالة واحدة هي "إبراز أهمية الأرشيف لكونه شاهدًا على التاريخ وحافظًا للذاكرة"، و"التشديد على أهمية توثيق ما نشهده حاليًا في مختلف المجالات، إذ إنّ هذه المواد ستشكل أرشيف الأجيال القادمة".

وقدَّم مركز أوال مجموعة الأعداد التسعة الصادرة من مجلَّة "أرشيفو" هدية للمؤسَّسات المشاركة.

دار النمر للفنّ والثقافة يستعرض "سكة الحجاز" في الأرشيف التركي

نظّم مركز الفنون والآداب في الجامعة الأميركية في بيروت، بالشراكة مع دار النمر للفن والثقافة، معرض "سكة الحجاز"، الذي تضمن مجموعة نادرة من الصور الفوتوغرافية والوثائق الأرشيفية، تم الحصول عليها من أرشيف رئاسة الوزراء التركية في إسطنبول.

توثّق هذه المواد نشأة مشروع سكة حديد الحجاز الذي يعتبر أول مشاريع البنية التحتية العثمانية الكبرى التي أقيمت ذاتيًّا، إضافة إلى المساهمة الشعبية العالمية في تمويل المشروع، والتي جعلت منه أوَّل مثال إسلامي دولي لمشروع مموّل من قبل الجمهور.

يتضمّن المعرض نحو 70 صورة ووثيقة تاريخية تروي بالأبيض والأسود قصة بناء هذه السكة الحديدية التي كانت تربط تركيا والمدينة المنورة مرورًا بدمشق والأردن وفلسطين، وتعرّف الزائر إلى أهمّ محطات تلك السكّة المعروفة بالتركية باسم "حجاز تيمور يولى".

وتظهر صور فوتوغرافية أخرى بداية انطلاق السكة من دمشق، بحيث تتفرَّع بعده من بصرى جنوب سوريا إلى خطّين، أحدهما يصل إلى الجنوب نحو الأردن، والآخر يتجه غربًا نحو فلسطين. وفي وثائق أخرى، تعرض طوابع بريدية حملت صور هذه السكة، وكذلك صور نياشين وأوسمة مصنوعة من الذهب والفضة حرصت الدولة العثمانية على تكريم المتبرعين من خلالها، عبر منحها لهم تخليدًا لذكرى تأسيس الخط الحجازي.

يأتي المعرض نتيجة تعاون مع قسم الأرشيف العثماني في رئاسة الوزراء التركية للحصول على نسخ من وثائق وصور سيتمّ الاحتفاظ بها في مكتبة الجامعة الأميركية.

النبطية في مئة عام: معرض صور فوتوغرافيَّة نادرة

بالتعاون مع "جمعية بيت المصوّر في لبنان" و"معرض خليل برجاوي لطوابع البريد"، أطلق "مركز كامل يوسف جابر الثقافي الاجتماعي" في النبطية مجموعة مجّانية من الصور الفوتوغرافية النادرة عن مدينة النبطية خلال قرن كامل يراوح بين العام 1890 والعام 1990.

من بين الصّور المعروضة، صورة تعتبر الأقدم للنبطية التي عثر عليها حتى الآن، وهي ليست أصلية، إنّما منسوخة عن مجموعة الراحل فؤاد دبّاس، فيما تشير التقديرات إلى أنّ تاريخها يعود إلى العام 1890.

تتضمَّن المجموعة 18 بطاقة بالأبيض والأسود، تتناول عقودًا وأزمنة من تاريخ "عاصمة جبل عامل"، جُمعت من أرشيف مصوّرين راحلين أو هواة مهتمّين، فضلًا عن مجموعة من أرشيف الباحث علي مزرعاني الَّذي جمعه من بيوت المدينة، وقد استُدلّ بالتواتر على بعض أصحابها، فيما بقي بعضها الآخر مجهولًا، لجهة هوية المصوّر أو المصدر.

وفي المجموعة أيضًا صور للمصوّر ماهر غندور، وصور متناثرة من أرشيف أو مجموعات المربّي الراحل حبيب جابر، والرئيس السابق لبلدية النبطية الراحل أحمد عبد الهادي الصباغ، ورياض شعيتاني، وأحمد فرحات، وكامل جابر.

وتظهر بين الأعوام 1947 و1948 و1952 ثلاث صور لسوقَيْ الحصير والغلّة و"سوق الإثنين" الشهير في النبطية، وما تحمله هذه الأسواق من أزياء تقليدية، فضلًا عن صور نادرة خلال الأربعينيات والخمسينيات لعاشوراء النبطية (1949)، وحقول التبغ (1948)، وتظاهرة طلّابية في نيسان في العام 1954 ضد معاهدة "الدفاع المشترك"، ودبكة جنوبية في عيد الشجرة (1954)، والخيّالة من أبناء النبطية (1936 - 1960)، والسراي العثمانية التي هُدمت في العام

1972، وتظاهرة لأبناء النبطية وأحزابها رفضًا للحرب الأهلية (نيسان 1975)، إضافةً إلى آخر معاقل الحرف اليدويّة في النبطية، الحدّاد العربي، في صورة التقطها كامل جابر لسميح جروان وهو يطوّع الحديد في محترفه قبل سنتين من إقفاله في العام 1990.

أُرفقت هذه البطاقات في جهتها الخلفيَّة بصور للعملات اللبنانية في الأعوام التي التقطت فيها الصّور أو الأعوام القريبة، وهي منوّعة بين العملة العثمانية ودولة لبنان الكبير والجمهورية اللبنانية، فضلًا عن أختام بريدية مميزة.

رحلة 10 أيام بالكاميرا سنة 1965 في ربوع لبنان

نظَّم "مركز التراث اللبناني" في الجامعة اللبنانية الأميركية لقاءً خاصًا ومعرضًا فوتوغرافيًا أطلق خلاله كتابه الجديد: "الصورة ذاكرة المكان رحلة 10 أيام بالكاميرا سنة 1965 في ربوع لبنان"، للمصوّر الأميركي الراحل تشارلز كوشمان (1896-1972)، الذي تجوَّل في المناطق اللبنانية قبل نصف قرن، والتقط صورًا طريفة نادرة لأماكن عدة، بعضها زال نهائيًّا، وبعضها الآخر تغيَّرت اليوم معالمه كليًّا أو جزئيًّا.

استهلّ اللقاء رئيس الجامعة، الدكتور جوزف جبرا، بكلمة جاء فيها: "مرة جديدة، يفاجئنا الصديق الشاعر هنري زغيب مع إطلاقه اليوم هذا الكتاب المميز: "الصورة ذاكرة المكان"، وهو يضمّ نحو مئة صورة فوتوغرافية لبيروت وجبيل وبعلبك تعود إلى أكثر من خمسين سنة، وتحمل إلينا صفحاتٍ من تاريخ قيّم لوطن يجسّد في هذه المعالم المدينية الثلاث مجسّمًا لتعاقب حضارات وتعانق ثقافات".

وألقى مدير المركز هنري زغيب كلمة شرح فيها ظروف الكتاب والسماح بنشره من جامعة إنديانا الأميركية، صاحبة الحقوق في الصّور، وكيفية العمل على إصدارها في كتاب. وقال: "قيمة هذه الصور اليوم أنها تستعيد مناظر وواحاتٍ ومشاهد وأشخاصًا ومعالم ولحظاتٍ كانت نابضةً بالحياة قبل نصف قرن من اليوم، بعضها ما زال باقيًا، مع تعديلٍ أو تحويرٍ أو ترميم، وبعضها الآخر اندثر كلّيًّا، فغابت ملامحه ولم تبق منه إلّا لحظة نوستالجيّة جمّدتها كاميرا تشارلز كوشمن ذات أيار/ مايو 1965".



من أعمال المصور الأميركي تشارلز كوشمان (1972-1896)

جامعة الإسكندرية تفتتح متحفًا يؤرّخ لتاريخ الطباعة على مستوى العالم

افتتح رئيس جامعة الإسكندريَّة، الدكتور عصام الكردي، متحف مطبعة جامعة الإسكندرية الذي يضمّ ماكينات طباعة أثرية يعود تاريخ بعضها إلى العام 1850.

وأكّد الكردي حرص الجامعة على تسجيل تاريخها منذ إنشائها في العام 1942 وحتى الوقت الحاضر، مشيرًا إلى استعانة الجامعة في طباعة مطبوعاتها بالمطابع الحكومية والأهلية حتى العام 1952.

ولفت إلى تاريخ إنشاء أول مطبعة وإمدادها بالآلات والماكينات الحديثة والحروف العربية والإفرنجية، حتى تستطيع النهوض بمطبوعات الكليات والمعاهد المختلفة، موضحًا أنَّ المطبعة شهدت طفرة تكنولوجية وفنية عندما انتقلت إلى مقرها الحالي من خلال

تجديد آلاتها وتزويدها بأحدث المطابع، بما يواكب التطور الذي شهده فنّ الطباعة.

وأضاف أنَّ مطبعة الجامعة تعمل الآن على إصدار سجلّ بأعلام الجامعة عبر تاريخها الطويل، فضلًا عن كتّاب اليوم، ليضاف إلى إصدارات الجامعة بمناسبة اليوبيل الماسي.

بدوره، قال الدكتور عبد العزيز قنصوه، نائب رئيس الجامعة لشؤون خدمة المجتمع وتنمية البيئة، إنَّ المتحف يضمّ المطابع الأولية التي يرجع تاريخها إلى العام 1850، ويؤرخ لتاريخ الطباعة على مستوى العالم، ويُعتبر جزءًا من ذاكرة جامعة الإسكندرية.

دورة لترميم الوثائق والمخطوطات في دار الكتب في مصر

انطلقت في شهر أيار/ مايو فعاليات الدورة التدريبية التي تنظّمها الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية في مصر، بالتعاون مع منظمة الإيسيسكو، وذلك في مجال ترميم الوثائق والمخطوطات وصيانتها.

وتخلّلت الدورة محاضرات حول التعامل مع المقتنى الثقافي، المعالجة الكيميائية للمقتنيات، الطرق العلمية الحديثة في ترميم البرديات والمخطوطات الرقية والورقية، فنّ التّجليد والتذهيب، المعالجات الميكروبية والحشرية للوثائق، والصيانة الوقائية في أماكن حفظ المخطوطات.

كما شمل برنامج الدورة عددًا من ورش العمل، من بينها ورشة عمل في مجال الترميم اليدوي، وورشة عمل في الترميم الآلي، إضافةً إلى برنامج تعريفي بمعامل الصيانة ومعملي التجليد والميكروفيلم في دار الكتب.

تأتي الدورة في إطار تواصل التعاون المشترك بين دار الكتب والوثائق ومنظّمة "الإيسيسكو".

رقمنة 3.5 مليون صفحة من الوثائق والمخطوطات في مكتبة قطر

كشف مدير شؤون المبادرات الرقمية في مكتبة قطر الوطنية، حسن محمد العَوَض، عن رقمنة 3.5 مليون صفحة حتى الآن من الوثائق التاريخية والمخطوطات العربية والإسلامية، نشر منها في مكتبة قطر الرقمية نحو مليون ونصف مليون وثيقة، وأصبحت متاحة للمطالعة والقراءة، لافتًا إلى أنَّ مكتبة قطر الرقمية تعتبر أكبر بوابة إلكترونية في العالم.

وأوضح العَوَض، خلال لقاء صحافي، أنَّ مكتبة قطر الوطنية من أكبر داعمي المكتبة الرقمية العالمية، وساهمت فيها حتى الآن بأكثر من 345 مؤلفًا ومخطوطة تاريخية، مشيرًا إلى أنَّ هناك تعاونًا واسع النطاق مع كبرى المكتبات العالمية من مختلف أنحاء العالم، لتبادل الخبرات وتعزيز التعاون في المشاريع ذات الاهتمام المشترك، وأنَّ مكتبة قطر الرقمية ستبرم قريبًا اتفاقيات شراكة وتعاون مع مختلف المراكز الأرشيفية في العالم، من أجل الحصول على الوثائق التي تتعلَّق بقطر والمنطقة والتاريخ العربي والإسلامي ونشرها.

الوثائق والمخطوطات في ليبيا: الحماية والتنظيم والإتاحة

انطلقت في شهر نيسان/ أبريل فعاليات الندوة العلميّة التي نظَّمتها إدارة الشؤون العلميّة في مؤسَّسة الشيخ الطاهر الزاوي الخيرية، بالتعاون مع الجمعية الليبية للمكتبات والمعلومات والأرشيف في العاصمة طرابلس، تحت عنوان "الوثائق والمخطوطات في ليبيا: الحماية، التنظيم، الإتاحة".

افتُتحت الندوة بكلمة لرئيس اللجنة التحضيرية، محمود الغتمي، شدَّد فيها على ضرورة الاهتمام بالوثائق والمخطوطات التي تضمّ الكثير من تراث ليبيا العلمي والثقافي، حيث الآلاف من المخطوطات مدفونة في زوايا قديمة ومطبوعة في دهاليز المكتبات الخاصة في

مختلف المدن والبلدات الليبية، يعلوها الغبار، ويلفّها النسيان، وتتآكل بفعل الإهمال والتقصير، إضافةً إلى تعرّضها للاعتداء والسرقة، وبخاصَّة في السنوات الأخيرة، ما يفقد ليبيا جزءًا قيّمًا من تراثها وهُويتها وذاكرتها.

وتعرّض الدكتور محمد بن موسى، رئيس الجمعية الليبية للمكتبات والمعلومات والأرشيف، للواقع المأساوي الذي تتعرَّض له المخطوطات من نهب وتهريب وبيع خارج البلاد، علاوة على "الحرص المدمّر"، من خلال الحفاظ على المخطوطات في أماكن رطبة غير صالحة للحفظ، مشيرًا إلى أنَّ هذا الواقع الصعب الذي تتعرَّض له المخطوطات يتطلَّب منا وقفة جادة لحماية الوثائق والمخطوطات، ويحتاج إلى تكاتف الجهود والتعاون لنشر ثقافة الاهتمام بهذا الموروث الفكري الثقافي.

بدوره، عرض عضو مجلس الإدارة في المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، علي الهاجن، خلال كلمته، ما يحتويه المركز من مخطوطات وأشرطة ومراسلات وثائق أجنبية.

كما تم خلال حفل افتتاح الندوة العلميّة افتتاح معرض الوثائق والمخطوطات، بمناسبة الذكرى التسعين لدار المخطوطات التاريخية.

انعقاد المؤتمر السنوي الرابع والعشرين لجمعية المكتبات المتخصّصة في عُمان

عُقد المؤتمر السنوي الرابع والعشرون لجمعية المكتبات المتخصصة، في شهر آذار/ مارس، تحت عنوان "البيانات الضَّخمة وآفاق استثمارها: الطريق نحو التكامل المعرفي" في مسقط.

وناقش المؤتمرون عدة محاور، من بينها "البيانات الضخمة وصناعة المعلومات"، "علم البيانات وبرامج المكتبات والمعلومات"، "البيانات الضخمة: ممارسة وتجارب في دول الخليج".

وتخلَّلت فعاليات المؤتمر جلسة حوارية بعنوان "البرمجيات مفتوحة المصدر في المكتبات: كيف لها أن تعزّز دور مكتباتنا العربية في التنمية وخلق الفرص للإبداع؟".

«الأرشيف دعامة للذاكرة الوطنيَّة.. مؤتمر دوليٌّ للوثائق والمحفوظات في مسقط»

افتُتحت في كليَّة الشرق الأوسط في العاصمة العُمانية مسقط، في شهر أيار/ مايو، أعمال المؤتمر العلمي الدولي للوثائق والمحفوظات "الأرشيف دعامة للذاكرة الوطنية"، الذي نظّمته هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية وكلية الشرق الأوسط، بمشاركة نخبة من الأساتذة والباحثين والمختصّين في مجال الأرشيف من داخل السلطنة وخارجها.

عرض المؤتمر 14 ورقة عمل ضمن أربعة محاور ناقشت التشريع الأرشيفي والسيادة الوطنية، النزاعات الأرشيفية، الأرشيف والتنمية الوطنية، وأمن الوثائق وحوكمة الإنترنت.

وكان الهدف من المؤتمر تقييم دور الأرشيف في الذاكرة الوطنية في مختلف المجالات، وإبراز دوره في الدراسات العلمية والتاريخية والحضارية وغيرها، إضافةً إلى دراسة الأبعاد والعلاقات الأرشيفية بين السلطنة والدول الأخرى، وإلقاء الضوء على دور الأرشيف في الحفاظ على الحقوق الوطنية والفردية. ودراسة أهمية الأرشيف في تعزيز الهوية والانتماء الوطني، والدراسة المقارنة للتشريعات والقوانين والأنظمة واللوائح المتعلقة بالأرشيف، وتأثير التكنولوجيا في العلوم والمجالات الأرشيفية، إلى جانب التطرق إلى وسائل حماية الأرشيف.

وقد انطلق المؤتمر لتحقيق أهدافه من عدة محاور؛ المحور الأوّل هو التشريع الأرشيفي والسيادة الوطنية، الذي استعرض التشريعات الأرشيفية الوطنية، والمعاهدات والاتفاقيات الدّولية، والتشريعات الأخرى ذات العلاقة بالأرشيف، والأرشيف والملك العام، فيما ناقش

المحور الثاني "النزاعات الأرشيفية" النظام القانوني للأرشيف في فترة النزاعات والحروب، والنزاعات الأرشيفية من خلال التجارب المقارنة.

وفي المحور الثالث "الأرشيف والتنمية الوطنية"، تطرَّق المؤتمرون إلى الأرشيف والحوكمة، والحقوق والحريات، والذاكرة والهوية، والأرشيف والبحث العلمي. وبحث المحور الرابع بعنوان "أمن الوثائق وحوكمة الإنترنت" موضوع الأرشيف بين الحجب والإتاحة وأمن الوثائق في النظم الإلكترونية، إلى جانب الحفظ الخارجي للأرشيف وتحدياته، والأرشيف وشبكات التواصل الاجتماعي، والأرشيف وحوكمة الإنترنت.

متحف سرسق يتيح أرشيف المقتني ريشار شاهين للجمهور

أتاح متحف "سرسق" في بيروت أرشيف المقتني ريشار شاهين أمام الجمهور، بين شهري أيار/ مايو وحزيران/ يونيو، وهو يتضمّن صورًا وسكتشات لوحات وصورًا فوتوغرافية وقصاصات من الصحافة اللبنانية وكاتالوغات معارض تشكيلية.

وكان شاهين قد أهدى أرشيفه الذي كان يحتفظ به في الغاليري الذي يحمل اسمه في بيروت، للمتحف في العام 2015، وقام فيه بتوثيق سيرة عدد من الفنّانين التشكيليين اللبنانيين والفنون التشكيلية اللبنانية، في سلسلة موسوعته المعنونة "مئة عام من الفن التّشكيلي في لبنان من العام 1880 إلى العام 1980"، والتي صدرت عن الغاليري الخاص به.

أصدر شاهين من خلال الغاليري أيضًا عدّة كتب تؤرّخ للفن والثقافة في لبنان، من بينها "لبنان والأعمال الفنية للأرض المقدسة: مصر، وفلسطين، والأردن 1796 - 1864"، و"مستشرقو لبنان"، و"أرمينيا والفن"، و"صور من التراث" وغيرها.

كذلك، نظّم شاهين في حياته أكثر من 400 معرض فني لفنانين لبنانيين، وأصدر سلسلة أقراص "دي في دي" بعنوان "الشرق تراث الإنسانية" يوثّق فيها 48 ألف معلم أثري وجغرافي وتاريخي وديني من القوقاز وصولًا إلى المغرب، ويتضمّن 1400 رسمة وخريطة وصورة بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

كما أصدر أيضًا 12 قرص دي في دي تتضمّن وثائق وصورًا وأعمالًا تشكيلية ورسومات حول تاريخ لبنان الأثري والفني والجغرافي.

يُذكر أنَّ مكتبة "سرسق" تحفظ إلى جانب أرشيف المتحف نفسه، عددًا من الأرشيفات الخارجية، من بينها أرشيف "غاليري ريشار شاهين"، أرشيف فؤاد دباس الذي يوثّق مسار الأبحاث التي أجراها وعمله كجامع للأعمال الفنية، والأرشيف المادي متوافر للباحثين، إلى جانب النّسخ المرقمنة منه.



من أرشيف المقتني ريشار شاهين في متحف سرسق في بيروت














ISSN 2414 - 5386
9 772414 538004 >



info@awalcentre.com | www.awalcentre.com

